

الفصل الخامس

أبرز رواد التاريخ الحديث من الجامعيين

- محمد شفيق غريال • محمد صبرى السريونى •
- محمد فؤاد شكرى • حسن عثمان • أحمد عزت عبد
- الكريم • عبد الحميد البطريق • محمد أنيس • أحمد
- عبد الرحيم مصطفى .

تحمل عبء تطوير الحركة التاريخية فى مصر أساتذة أعلام ومؤرخون ثقات كان لهم فضل الريادة والاستانابة المبرزة ، وستظل أسماؤهم مقرونة بأعمالهم فى خدمة النهضة التاريخية فى مصر ، وستظل مؤلفاتهم نبراسا يهتدى به من يأتى بعدهم ويكتفى أن نذكر من هؤلاء محمد شفيق غريال رائد الحركة التاريخية فى مصر ومحمد صبرى السريونى المؤرخ والأديب الذى عاش معظم حياته العلمية مبعدا عن وظائف التدريس الجامعى نظرا لأنه قال إن الملك فؤاد لا شعبية له ومحمد فؤاد شكرى صاحب العديد من المؤلفات التى يشار إليها بالبنان، ومع ذلك لم يجد ثمن الثناء عندما اشتد به المرض وحسن عثمان المؤرخ الفنان المولع بالأدب الإنسانى خاصة الإيطالى منه وأحمد عزت عبد الكريم الذى ارتبط بتلاميذه برابطة الفكر والعلم وأخذ بيدهم إلى الامام وعبد الحميد

البطريق صاحب الينبوع الدافق من الخلق والإنسانية و محمد أنيس صاحب الحس التاريخي المرفف الذى تخطى الحواجز وعالج العديد من الأمور التى كانت محظورة فى تاريخ مصر ، وأبرز دور الشعب المصرى فى صنع أحداث بلاده ، وأحمد عبد الرحيم مصطفى الذى فتح آفاق المعرفة والدراسات الأوربية أمام طلابه وفيما يلى نعرض لهؤلاء الاعلام ، ونورهم فى بناء المدرسة التاريخية المصرية ، وفى تمصير حركة التاريخ المصرى ، وفى فتح الأبواب الواسعة فى مجال الاستقراء والاستنتاج .

الأستاذ محمد شفيق غريال

١٨٩٤ - ١٩٦١

ولد محمد شفيق غريال بمدينة الإسكندرية في عام ١٨٩٤م ونشأ وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارسها ثم اختار الالتحاق بمدرسة المعلمين الخديوية العليا بالقاهرة حيث وجد فيها - كما يذكر - المعهد الذي يصله بالدراسات الإنسانية - وتخرج فيها عام ١٩١٥ ثم أوفدته الحكومة المصرية في بعثة دراسية لدراسة التاريخ الحديث بجامعة ليغربول بإنجلترا إبان الحرب العالمية الأولى .

ومع فداحة الأخطار التي كان يتعرض لها العالم في خلال هذه الفترة ، وعلى الرغم من مصائب السفر خلال تلك الآونة ، فإن غريال لم يتردد في الذهاب إلى إنجلترا ليواصل دراسته لتاريخ هنالك^(١) وقد استطاع أن يثبت مقدرته فحصل على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف في عام ١٩١٩ وعاد إلى مصر ليعمل مدرساً بأحدى المدارس الثانوية بالإسكندرية لمدة ثلاث سنوات أوفد بعدها مرة أخرى إلى إنجلترا للدراسة للحصول على الماجستير بجامعة لندن ثم بمعهد البحوث التاريخية التابع لهذه الجامعة ، وخلال ذلك التقى بالمؤرخ البريطاني الشهير "ارنولد توينبي" الذي كان يشرف على بحوث الدراسات العليا هناك ، ويذكر توينبي أنه منذ لقائه الأول به وجد فيه طالبا موهوبا وأنه تعلم من شفيق غريال أكثر مما علمه ، وأنه تنبأ بأنه سيكون في مستقبل حياته باحثاً وأستاذاً ، كما تنبأ له بمسلكه الأخلاقي الذي تميز به ، ويكونه موشوعى التفكير ، مستقلا في الرأي ذا حزم وعزم فيما يتصل بالعمل الذي يتناوله^(٢).

ومن المعروف أن توينبي أشرف على رسالة غريال للماجستير التي حصل عليها في عام ١٩٢٤ وكانت بعنوان *The beginning of the Egyptian Question and the Rise of Mehmet Ali* وبعد أن عاد غريال إلى مصر في عام ١٩٢٥ عين مدرسا

١ - من كلمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في حفل تابين الأستاذ محمد شفيق غريال .

٢ - انظر كلمة الأستاذ ارنولد توينبي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة أثناء تابين الأستاذ غريال.

للتاريخ الحديث في مدرسة المعلمين العليا ، وهناك بدأ في تدريس تاريخ الحضارة الإسلامية والكتابة في هذا المجال^(١) ثم نقل أستاذا مساعدا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بالجامعة المصرية في عام ١٩٢٩م ثم ما لبث أن رقي بها أستاذا للتاريخ الحديث في عام ١٩٣٦ فكان بذلك أول مصري يتولى هذا المنصب بالجامعة خلفا للمؤرخ الإنجليزي "جراست" ، ومن هنا بدأ غريال يشق طريقا طويلا في خدمة الدراسات التاريخية المصرية ، وفي نقل الإشراف على هذه الدراسات من يد القصر الملكي والمؤرخين الأجانب إلى يد الجامعة فبدأ في تكوين المدرسة التاريخية المصرية ، وتمصير الدراسات الخاصة بالتاريخ المصري وخاصة بعد إنشاء الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه بالجامعة وإشرافه وتوجيهه للبحوث التاريخية .

وقد تمكن غريال بفضل مقدرته العلمية ، وبنية ملاحظة وقوة تأثيره على طلابه ، أن تكون له الريادة الفكرية للمدرسة التاريخية فاقبل عليه تلاميذه بشغف ، وأخذ بمنهج من علمه وفكره ما يثير لهم السبيل دون أن يقسن على أحد منهم بما يعلمه أو يصد عن بابه طالب علم ، فدفع ذلك تلاميذه إلى السعي للحاق به والسمو إلى قرب قمته عن طريق الحرص على الإجابة وتوضي الدقة^(٢) ولم تقتصر جهود غريال في الجامعة على الناحية العلمية بل تعدتها إلى نواحي النشاط الاجتماعي حين صار وكيلا للاتحاد العام لطلاب الجامعة المصرية^(٣) وبذلك كان لغريال فضل عظيم في توجيه أجيال متعاقبة من تلاميذه الذين أخلصوا له الإجلال والتقدير وامتد فضله عن طريقهم إلى العديد من أبناء هذه الأمة^(٤).

١ - كتب غريال فصلا بالإنجليزية عنوانه " الآراء والحركات في التاريخ الإسلامي "

٢ - Ideas, Movements in Islamic History ضمن كتاب منشور ظهر في أمريكا في عام ١٩٥٨ وعنوانه " الإسلام الدين القويم "

٣ - المجلة التاريخية المصرية ، المجلد التاسع عشر ١٩٧٢ مقال للدكتور أحمد عزت عبد الكريم تحت عنوان محمد شفيق غريال أستاذ جليل وصاحب مدرسة ص ٣٦ .

٤ - مذكرة مقدمة من كلية الآداب جامعة القاهرة بترشيح الأستاذ غريال لجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠م .

٥ - أبو حديد : المقال السابق ص ١٥٤ - ١٥٥ .

أما عن الرسائل العلمية التي اشرف عليها غربال فهي متعددة وقد ارتبط جلها بالعصر العثماني وعصر محمد علي ويرجع ذلك إلى أنه بسبب إهمال المؤرخين دراسة هذه الفترة في ذلك الوقت دعا غربال طلابه إلى الاهتمام بدراسة التاريخ العثماني باعتباره مدخلا لدراسة التاريخ المصري الحديث ووجههم كذلك إلى الاهتمام بدراسة تاريخ القرن التاسع عشر بصفة عامة ، وعصر محمد علي بصفة خاصة نظرا لأن نبش الحياة المصرية قد اشدت في ذلك العصر ، وكانت التطورات السريعة والمتلاحقة التي وقعت بعصر خلاله قد أحدثت فيها ما يشبه الثورة في كافة مناحي الحياة .

نتيجة لذلك خرج على يد غربال العديد من الدراسات الأكاديمية في هذه الموضوعات نذكر منها الدراستين اللتين قدمهما محمد رفعت رمضان ونال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه وهما " ثورة على بك الكبير ^(١) " و " مصر والدولة العثمانية دراسة تاريخية للعلاقات السياسية بين الطرفين من ١٨٥٠ - ١٨٦٣ " .

والدراسة التي قدمها حسن عثمان للماجستير تحت عنوان " فخر الدين بن معن الثاني أمير لبنان " .

والدراستين اللتين أعدهما أحمد الحت للماجستير والدكتوراه " الفلاح المصري في عهد محمد علي " و " تطور الزراعة المصرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر " .

والدراستين اللتين قدمهما أحمد عزت عبد الكريم ونال بهما الماجستير والدكتوراه وهما " تاريخ التعليم في عصر محمد علي ^(٢) " و " تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد علي إلى أوائل حكم توفيق " .

والدراسة التي أعدها أبو الفتوح رشوان للماجستير وعنوانها " تاريخ مطبعة بولاق " والدراسة التي قدمها محمد محمد توفيق للماجستير تحت عنوان " مصطلح وماتق

١ - نشرت هذه الدراسة في عام ١٩٥٠ ، وهي تعالج فترة غامضة من تاريخ مصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وتوضح أنه في عهد على بك الكبير أصبحت لمصر شخصية متميزة فلال مرة في العصر العثماني الأول اتصلت مصر مباشرة بالسياسة الخارجية فنجح على بك في عقد اتفاقات جمركية مع الانجليز ، كما حاول عقد معاهدات سياسية مع روسيا وجمهورية البندقية . للتفاصيل انظر . محمد رفعت رمضان على بك الكبير القاهرة ١٩٥٠ ص ٢٢٢ .

٢ - طبع في خمسة أجزاء ، ويعد من أبرز ما كتب عن التعليم في مصر .

تاريخ الحكم العثماني^(١) في مصر * والدراسة التي أعدها فائق جيرة للماجستير تحت عنوان * شرائب الأتليان المصرية في عهد محمد علي * والدراسة التي قدمها أمين عفيفي للدكتوراه بعنوان * تجارة مصر في عهد محمد علي *

والدراسة التي قدمها عياد دوس للماجستير بعنوان * الفتح المصري للسودان في عهد محمد علي * والدراسة التي قدمها عبد العزيز الشناوي للماجستير تحت عنوان * السخرة في حفر قناة السويس * ولغريال مؤلفات ليست بالكثيرة ، ولا بالضخمة ، ولكن ما كتبه يقترن دائما باسمه خصوصا وأنه كان يرى من الحقائق ما لا يراه غيره. وإذا كتب تاريخا صاغه في لفظ أثيق فيه فطانة ويعد نظر وحسن إدراك مع دعابة لطيفة تجعل من يقرأ له يحس أنه ليس مع مؤرخ أو فليسوف وإنما مع فقيه من فقهاء التاريخ^(٢).

ومن أبرز مؤلفات غريال رسالته للماجستير * بدايات المسألة المصرية ويظهر محمد علي^(٣) * والتي تعد حدثا علميا استرعى أنظار الأساتذة والباحثين ، وخاصة لأنها اتسمت باستقراء الأحداث والفحص العلمي والمقارنات، والناحية التحليلية وكثرة المصادر والأسانيد، كما اتسمت بالحياد في تقويم الأشخاص واليعد عن التعامل والعواطف .

وقد استطاع غريال في هذه الدراسة تناول التطورات السياسية في مصر منذ الحملة الفرنسية حتى وصول محمد علي إلى الباشوية ، وأثبت أن المسألة المصرية كانت جزءا هاما من المسألة الشرقية ، وأنه لا يمكن فهم هذه المسألة إلا إذا ربطنا بينها وبين ما كان يجري في الدولة العثمانية وأوروبا وهي الطريقة التي سار عليها أستاذه توينبي في مؤلفاته وهي أنه لا يمكن للباحث أن يدرك كنه حقيقة تاريخ أمة من الأمم إذا هو

١ - قدمت هذه الدراسة لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وأهم ما ميزها أن بها دراسة عن خط القبرمة فضلا عن قاموس خاص بمصطلحات خاصة بالعصر العثماني وللأسف لم يتم نشر هذه الرسالة حتى الآن وأخذت النسخة الموجودة بمكتبة جامعة القاهرة .

٢ - حسين مؤنس : التاريخ والمؤرخون ، دراسة في علم التاريخ ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٨١ ص ٢٠٤ .

٣ - لا تزال هذه الدراسة باللغة الانجليزية ولم تترجم إلى العربية بعد .

قصر بحثه على تاريخ هذه الأمة واكتفى بتتبع الحوادث التي وقعت فيها وحدها خصوصا وأن حوادث العالم متشابهة فلا تقع حادثة في بلد من البلدان إلا امتدت آثارها إلى البلدان الأخرى بدرجات متفاوتة قد تكون قوية أحيانا ، وبخير مؤثرة في أحيان أخرى .

وتنقل هذه الفترة بالذات محور اهتمام غريبال ففي عام ١٩٣٢ كتب بحثا بعنوان " الجنرال يعقوب والفارس لاسكارس " أوضح فيه مشروع استقلال مصر الذي حمله معه يعقوب حنا بعد خروج الفرنسيين من مصر .

وفي الثلاثينات من هذا القرن نشر غريبال دراسة تحت عنوان " مصر عند مفترق الطرق - رسالة حسين أفندي الروزنامجي " وتشتمل هذه الدراسة على تصديق مخطوط بعنوان " ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامة في مصر العثمانية " وهو عبارة من أسئلة موجهة إلى "المسيو ستيف" مدير مالية مصر - خلال الحملة الفرنسية - إلى حسين أفندي حول أحوال الفلاحة في مصر ونظام الالتزام والضرائب، وبعض النواحي المالية وإجابات حسين أفندي عليها^(١).

وقد مهدت دراسة هذا المخطوط الطريق لكل من تصدى لتاريخ مصر العثمانية بالدراسة ، وأكدت أن شفيق غريبال كان محققا من الطراز الأول خاصة وأنه أضاف إلى المخطوط من الشروح والتعليقات ما أوضح فهم غريبال الصادق لحقائق التاريخ المصري ، وإيمانه بنور مصر الحضاري .

ويستمر غريبال في دراسته عن هذه الفترة فيخرج كتابا بعنوان محمد علي الكبير^(٢) وفيه وصف للمناخ الذي كانت تعيشه مصر قبيل عصر محمد علي ،

١ - انظر مجلة كلية الآداب : المجلد الرابع ج١ ، مايو ١٩٣٦ ص ٦١-٧١ .

والجدير بالذكر أن المؤرخ الأمريكي سانفورد شو Stanford shaw قد قام بنشر هذا المخطوط في عام ١٩٦٤ تحت عنوان -

Ottoman Egypt in the Age of french Revolution

٢ - نشر ضمن سلسلة أعلام الإسلام في عام ١٩٤٤ وأعدت دار الهلال تنشره في أكتوبر ١٩٨٦ .

ونجاح محمد علي في إقامة سلطة مركزية تجمع كل القوى المتصارعة في إطار واحد، وقيامه بحركات إصلاحية وعمرانية واسعة في شتى المناحي حتى عادت مصر كما كانت مهداً للحضارة، كما وصف الصفوة المثقفة التي أرسلها محمد علي إلى أوروبا لدراسة العلوم الحديثة وعادت إلى مصر لتطبيق العلم على العمل بأنّها ساعدت في النهوض بالزراعة والصناعة وبناء الجيش والأسطول وأخذت بمبقيتها تدب في جسم مصر وروحها كما تدب الخميرة في العجين ، وأوضح أن ما قام به محمد علي من إصلاحات فاق ما كان يقوم به الفرنسيون لو امتد حكمهم في مصر ، ثم أرجع نجاح محمد علي في إصلاحاته وفشل السلطان العثماني محمود الثاني في الإصلاحات التي قام بها في تركيا إلى أن محمد علي كان يعتمد على ثلاثة أسس وهي : القوة ، والعلم ، والمال في حين اعتمد السلطان العثماني على القوة العسكرية وحدها .

أما عن مساوئ السفرة والاحتكار وقصر المناصب العليا على الأرستقراطية العثمانية وغيرها فقد بررها غريبال بأنه كان لا بد من التنصحية بجيل أو جيلين في سبيل بناء حكومة قوية ومعصرة في مصر .

وأما عن مواقف محمد علي من السلطنة العثمانية وأوروبا فقد تمكن غريبال بفضل اتساع ثقافته ، وتمكنه من أساليب الكتابة التاريخية إلى ربط تاريخ محمد علي بالأوضاع العامة في الدولة العثمانية وأوروبا ، وطبيعة المؤامرات الدولية التي أحاطت به كما رأى أن محمد علي وهو قائد عثماني مسلم كان لا بد له من مساعدة الخليفة العثماني على إصلاح دار الإسلام ، وعلى الاحتفاظ بها مصونة ضد غزوات أعداء الإسلام ، وأنه ظل على إيمانه بهذا الموقف حتى فقد الثقة بالسلطان بعد صلح كوتاهية في عام ١٨٢٣ وبدأ يفكر في الانفصال عن الدولة العثمانية ، وإعلان استقلال ما يسمى " عريستان " أي البلاد العربية عنها ، ولكنه كان يتردد في اتخاذ هذه الخطوة خشية ما يترتب عليها من المحاذير .

وعند تحليلنا لما كتبه غريبال عن محمد علي نجد أنه تأثر تأثراً واضحاً بأستاذه توينبي في إيمانه بدور الصفوة المبدعة في مجالات النشاط البشري ، وبنظريته عن فكرة

التحدى والاستجابة Challenge and Response حين تطرق إلى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب ، يضاف إلى ذلك أنه دافع عن كل أعمال محمد على وإنجازاته على حين أن هناك العديد من المأخذ على محمد على وبعض أعماله التي كان يجب عليه توضيحها لا تبريرها .

وإلى جانب ذلك نجد للأستاذ غريال دراسة قيمة تحت عنوان " تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية " الجزء الأول ، بحث في العلاقات المصرية البريطانية من الاحتلال إلى عقد معاهدة التحالف ١٨٨٢ - ١٩٣٦^(١) وهو كما يرى صاحبه في مقدمته " محاولة لتكبيك صورة وأخسة من الحوادث ، والوقائع والسياسات والخطط والبوايح والأغراض والأمانى والأحلام والشهوات التي توالى على مصر ، والتي يتكون منها تاريخ العلاقات بين مصر وإنجلترا " .

ويلاحظ في هذا الكتاب بصفة عامة أنه بحث علمي مدعم بالوثائق والتحليلات العلمية البعيدة عن التحيز المروضة بأسلوب مشوق جذاب . وفي فصول هذا الكتاب تعرض غريال للمفاوضات المصرية البريطانية بصفة عامة ، وبين كيفية نشأتها وكيف رعى بها الإنجليز والمصريون بوصفها وسيلة لتحقيق الأمانى وصيانة المصالح ، وتعرض للأحداث التي سابت المفاوضات ، وقدم وصفا موجزا للسياسة العامة للاحتلال تجاه المصريين ثم تطرق إلى العلاقات المصرية البريطانية إبان الحرب العالمية الأولى بصورة مبسطة ووصف الثبررات التي استندت إليها إنجلترا كي تفرض حمايتها على مصر . وموقف الزعماء المصريين من ذلك ، كما تعرض المؤلف للتحفظات الأربعة التي صاحبت انتهاء الحماية في فبراير ١٩٢٢ ، وتوقف عند عقد معاهدة ١٩٣٦ ، ومع أن كتاب الأستاذ غريال يعتبر أثرا فريدا من نوعه من حيث الموضوع وطريقة عرضه وتدعيمه بالوثائق ، وكثرة التحليلات المدعمة بوجهات النظر المختلفة ، التي تؤكد فهم غريال الصادق لحقائق التاريخ المصرى فإنه مما يؤخذ على هذا الكتاب أن صاحبه لم يتعرض كثيراً للظروف الدولية العامة ذات التأثير المباشر في العلاقات المصرية

١ - نشرت مكتبة النهضة المصرية في مايو ١٩٥٢ أى قبيل ثورة ٢٣ يوليو بشهرين .

البريطانية ، وربما يكون قد أجل كتابه ذلك للجزء الثاني من الكتاب الذى كان يعتزم إصداره ولكنه لم ير النور فقد توفي دون أن ينتهى من كتابته .

وعلى كل حال فإن لهذه الدراسة مغزى مهماً وهى أنها كانت المحاولة الأولى من جانب غريال للكتابة فى القضايا المعاصرة والتعرض للحركة الوطنية المصرية بعد أن كان القرن التاسع عشر وحده يحتل مكان الصدارة من اهتماماته .

وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ألقى غريال عشرة أحاديث باللغة الانجليزية فى البرنامج الأذيعى بالإذاعة المصرية فى عام ١٩٥٤^(١) عن تكوين مصر " وفيها تحدث عن محبوبته ذات الأحرف الثلاثة وهى مصر فلو ضح " أن مصر هبة المصريين " لا هبة النيل كما قال هيردوت لأن النيل الذى تقع مصر على شفتيه قد قطع آلاف الأميال قبل أن يصل إلى مصر ومع ذلك فلا توجد غير مصر واحدة على طول مجراها ، أقامها المصريون بكدعهم وحرقتهم ، فهم الذين فلقوا الأرض وسقروها وزرعوها ، وهم الذين أقاموا السود والعمران فى شتى أرجائها ، ولولا جهودهم هذه لتحوّلت مياه النيل إلى مستنقعات وأماكن خربة تنتشر منها الملايا والأوبئة ، ومن هنا فإن البشر هم الذين صنعوا مصر ، وهؤلاء البشر الذين فعلوا ذلك هم المصريون .

كما أثبت غريال فى أحاديثه أيضاً أن مصر مهد الحضارة التى تجمعت حولها كل الأحداث ، وأن موجات الغزاه التى وفدت إليها لم تستطع أن تفت فى عضدها أو تؤثر فى شخصيتها .

ونظراً لأهمية هذه الأحاديث فقد جمعت فى كتاب صدر فى القاهرة باللغة الإنجليزية فى عام ١٩٥٥ ثم ترجم إلى العربية ونشرته وزارة الثقافة المصرية فى عام ١٩٥٧ ، كما ترجمته " كارمن رويث برافر " الباحثة بقسم الدراسات السياسية بكلية الآداب جامعة مدريد إلى الأسبانية^(٢) .

أما عن آخر ما كتبه غريال فكان بعنوان " منهاج مفصل لدراسة العوامل

١ - أذيعت هذه الأحاديث بعد ذلك من محطات إنجليزية وأمريكية متعددة .

٢ - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد الرابع عشر مدريد ، ١٩٦٧ - ١٩٦٨

التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم " وقد بين فيه العوامل التاريخية التي أثرت في بناء الأمة العربية وحددها فيما يلي :

١ - الأثر العثماني في الأمة العربية .

٢ - الغزو الأوربي وأثره في الأمة العربية .

٣ - التطور الداخلي للأمة العربية .

وشرح كذلك ظروف وقوع العالم العربي تحت الحكم العثماني والظروف التي أدت إلى الغزو الأوربي للأقطار العربية والنتيجة التي خرج بها غريال من دراسته لهذا الموضوع تتلخص في أن عوامل التدافع والتصادم بين الأمة العربية والقوى الغازية لها انجلت عن ظهور النهضة العربية الحديثة وإلى جانب ذلك فإن لغريال جهودا كبيرة في مجال الترجمة من الانجليزية إلى العربية وبخاصة في مجال التوجيه والمراجعة والإشراف على نقل عدد من أمهات الكتب التاريخية اللازمة لتثقيف الجيل العربي وإغادة الدارسين والباحثين ^(١) كما أن له العديد من البحوث والمقالات التاريخية المنشورة في المجلات العلمية ^(٢) وفي الترجمة العربية لدايرة المعارف الإسلامية ^(٣) وفي تقديمه لكتب تلاميذه وأصدقائه وقضلا على ذلك فله عدد كبير من الأحاديث الإذاعية في موضوعات تاريخية متنوعة منها موضوعات في التاريخ الإسلامي ، وسلسلة أخرى عنوانها " العالم الإسلامي من المحيط إلى الخليج " ، لو جمعت في صورة مبنونات لكانت تراثا ضخما من المؤلفات .

ويعد أن تعرضنا لمؤلفات غريال يتضح لنا مدى قدرته وتمكنه من أصول فن التاريخ ، وإدراكه لمعاني تاريخ بلده ، يضاف إلى ذلك أن كتاباته تتحلل بالعمق ويتجلى فيها الموضوعية وعدم إلقاء الأحكام جزاها وأنه وإن كان قد تأثر بمدرسة توينبي كثيرا

١ - مذكرة مقدمة من كلية الآداب بجامعة القاهرة بترشيح الأستاذ محمد شفيق غريال لجائزة الدولة التقديرية ١٩٦٠ .

٢ - انظر على سبيل المثال مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية المجلد الثاني ، العدد الأول ، القاهرة ، مايو ١٩٢٤ دراسة بعنوان " أمير موري في إيطاليا " ص ٧٦ - ١١١ .

٣ - انظر مادة (الترمك) في الترجمة العربية لدايرة المعارف الإسلامية .

لأنه لم يخضع في كثير من الأحيان للفلسفة تاريخية معينة بل كان يأخذ من كل تفسير بقدر طبيعة الدراسة التي يتعرض لها والملابس التي تحيط بها ، وحينما يتعرض لإحدى القضايا الشائكة التي تتعدد الآراء فيها ، كان في معظم الأحيان لا يفرض على القارئ رأياً يعينه بل كان يستشهد بأراء من تعرض لهذا الموضوع لبحث القارئ معه عما هو أقرب من الموضوعية وأحياناً كان يبدى رأيه في همس هادئ أبعد ما يكون عن التكلف ، وأقرب إلى المسات الفكهة الإنسانية المهدية .

وعلى كل حال لم تكن مؤلفات غريال ومصنفاته العلمية وحدها كل ما قدمه ، بل لعل أهمها تلاميذه الذين تشربوا ثمرات فكرة ، ونبضات عقله فقد ساءه يوماً أحد الأجانب من آخر مؤلفاته وكان في مجلس العلم من تلاميذه فلنشار إليهم قائلاً : هؤلاء هم كتبي^(١).

هذا عن غريال وجهوده المتعددة في المجالات التاريخية أما عن أنشطته العلمية الأخرى والنائب المتعددة التي تولاهما فقد انتخب شفيق غريال وكيلاً لكية الآداب فعميدا لها في مايو ١٩٢٩م وحتى مارس ١٩٤٠^(٢) .

وفي عام ١٩٤٠ نقل غريال من الجامعة إلى وزارة المعارف ليبدأ مرحلة جديدة في خدمة التربية والتعليم ، وهي خدمة وطنية جليلة ، وظل هناك حتى ديسمبر ١٩٤٢ يعمل وكيلاً مساعداً بالوزارة ، ثم عاد إلى منصبه بالجامعة لإدارة دفة المدرسة التاريخية.

وفي يناير ١٩٤٥ نقل إلى وزارة المعارف مستشاراً فنياً فوكيلاً لها إلى جانب تعيينه أستاذاً غير متفرغ بكلية الآداب في فبراير ١٩٤٩ وأتاح له ذلك الالتقاء بطلابه والاستمرار في مدرسته التاريخية ثم نقل وكيلاً لوزارة الشؤون الاجتماعية لفترة أعيد بعدها إلى وزارة التربية والتعليم حيث نهض بنصيب كبير في أعمال لجان المناهج بالوزارة^(٣).

١ - المجلة التاريخية المصرية : مقال الدكتور عزت عبد الكريم سابق الذكر ص ٢٥ .

٢ - جامعة القاهرة : دليل كلية الآداب ١٩٦٨ - ١٩٦٩ ص ١٠٠ .

٣ - ظل غريال بوزارة التربية إلى أن أحيل إلى التقاعد في عام ١٩٥٤ بعد أن بلغ الستين .

وفى خلال عمل غريبال بوزارة التربية كان له دور بارز فى حركة تمصير المقررات التاريخية بالمدارس ، كما كانت الكتب الدراسية التى أسهم فى وضعها بمثابة النواة التى اعتدى بشؤونها الطلاب والكتاب من بعده ^(١) .

وإلى جانب ذلك لى غريبال عن قرب مشكلات المجتمع المصرى والحياة المصرية بشكل عام .

وقد قدم غريبال للدراسات التاريخية فى مصر خدمات أخرى جلية تمثلت فى إنشاء الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والنهوض بها ^(٢) ، وإنشاء متحف الحضارة المصرية فى عام ١٩٤٩ وهو من أعظم مآثرنا العلمية ، وكان المشرف على لجانه المختلفة يوجهها بأرائه وتحقيقاته كذلك مثل غريبال الحكومة المصرية فى عدة مؤتمرات تاريخية ، فقد ترأس وفد مصر إلى الجمعية العمومية لليونسكو فى عام ١٩٤٨ ، وانتخب عضوا بالمجلس التنفيذى لهذه الهيئة عدة سنوات فظل يمثل الشرق الأوسط لدى هذه المنظمة من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥١ .

ويضاف الى ذلك أن هيئة اليونسكو اختارته فى عام ١٩٥١ لعضوية لجنة من اثنى عشرة مؤرخا من أبرز مؤرخى العالم ليكونوا مستشارين لها فى شئون تاريخ العالم وهو مشروع المآلف الضخم الذى تكفلت به اليونسكو .

وبالإضافة الى ذلك كان غريبال عضوا بجمعية اللغة العربية فى الفترة بين عام ١٩٥٦ وستة وفاته ، كما كان عضوا بالجمعية العلمى المصرى ، والجمعية الجغرافية ، والمجلس الأعلى للآثار ، ومركز تسجيل الآثار المصرية القديمة ، وجمعية الآثار القبطية ، ولجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية ، ورئيس الشعبة التاريخية للجنة الثقافة التابعة لجامعة الدول العربية .

هذا إلى جانب أنه رأس مجلس مديرى الموسوعة العربية الميسرة فيما بين عامى ١٩٥٩ - ١٩٦١ ^(٣) .

١ - المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى عشر ، ١٩٦٣ ص ٧ كلمة الأستاذ محمد رفعت .

٢ - للتفاصيل انظر كتابنا الجمعية المصرية للدراسات التاريخية دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ص ١١٧ - ١٥٢ .

٣ - مذكرة مقدمة من الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بترشيح الأستاذ محمد شفيق غريبال لجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٠ .

وعلى الرغم من مشاغل غريبال في وظائفه التي استنفدت الكثير من وقته ظلت صلته بالدراسات التاريخية مستمرة واستمرت مدرسته التاريخية القائمة على حب البحث والتزام المنهج العلمي قائمة^(١).

وبعد تقاعده تولى منصب مدير معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية فبعث فيه الحركة والنشاط ، ووثق علاقاته بالهيئات العلمية والجامعية التي لم تعرف قبل غريبال أن هناك معهداً بهذا الاسم ، كما نهض المعهد في هذه نهضة علمية كبيرة^(٢).

يضاف إلى ذلك أن غريبال عمل على توجيه طلابه بالمعهد توجيهها علمياً فاشد يشرف على عدد كبير من الرسائل التاريخية في المعهد يتناول تاريخ الأمة العربية الحديث والمعاصر حتى خرجت على يديه موضوعات عن العرب والترك (١٩٠٨ - ١٩١٦) و " تاريخ الوحدة العربية حتى عام ١٩٤٥ " و " المسألة المراكشية ١٩٠٢ - ١٩١٢ " و " اليمن في عهد الامام يحيى ١٩١١ - ١٩٤٨ " وغيرها .

ونقل غريبال يشغل منصبه في هذا المعهد بجدارة وهمة حتى يوم وفاته في ١٩ أكتوبر ١٩٦٦ بعد مرض قصير لم يمهله إلا أياماً فذهب إلى جوار ربه فبكاه أصدقائه وتلاميذه ومقدرو علمه وعارفو فضله^(٣).

ومما سبق يتضح أن شفيق غريبال كان مؤرخاً وعالمًا من الطراز الأول يستقرى الحضارات كما يستقرى الوثائق والنصوص ، وأنه مصري أصيل عمل في تواضع ورحابة أفق على النهوض بالدراسات التاريخية فأرسى قواعدها ووجهها التوجيه العلمي السليم ، كما يتضح أن جهوده لم تقتصر على إنعاش الدراسات التاريخية في مصر بل تعداها إلى المشاركة في الحركة الفكرية بكل جوانبها وأبعادها ، ومما يحمد له أنه لم يتعلق السراى الملكية كثيراً رغم إعجابه بشخصية محمد علي ، فكان بحق المنهل الأعلى للأستاذ الجامعي الذي يحق لصبر أن تقتصر به .

١ - الحركة المقدمة من الجمعية التاريخية سابلة الذكر .

٢ - محمد مهدي علام : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ، المجمعون القاهرة ، ١٩٦٦ ص ١٨٠ .

٣ - Abdel Rahman Zaki: Mohammed shafik Ghorbal 1894-1961, cairo, 1962 - ٢

الدكتور محمد صبرى السريونى

١٨٩٤^(١) - ١٩٧٨

محمد إبراهيم صبرى الشهير بالسريونى^(٢) من جيل العمالقة ذلك الجيل الذى حمل راية التنوير ، وكان بمثابة المصباح الهادية فى زمن لم يميز معظم أفراده بين النور والظلمة ولا يفرق بين النعمة والنقمة .

وقد ولد الدكتور صبرى فى مدينة المرج بالقليوبية^(٣) وتعلم فيها القراءة والكتابة ثم تلقى دراسته فى القاهرة فحصل على الابتدائية من مدرسة النحاسين . ثم التحق بالخبديوية الثانوية، وفشل فى الحصول على البكالوريا منها ثم تحقق له ذلك عن طريق نظام المنازل .

وبعد أن حصل على البكالوريا سافر فى عام ١٩١٣ على نفقته إلى فرنسا للدراسة، والتحق بجامعة السربون وتخصص فى دراسة التاريخ الحديث بغرض الحصول على درجة الليسانس التى كانت تكلف من يطلبونها من المصريين عناءً ثقيلاً خاصة وأنهم كانوا يكفون بدراسة اللاتينية ليؤدوا فيها امتحاناً تحريرياً ، ولم تكن اللاتينية تدرس فى مصر لا فى المدارس الثانوية ولا فى المدارس العالية وكان على الطلبة المصريين مجازاة زملائهم من الطلاب الفرنسيين فى هذه اللغة التى لم يسمعوها بها قبل وصولهم إلى فرنسا على حين كان الطلاب الفرنسيون يدرسونها فى مدارسهم الثانوية ، ثم يدرسونها فى الجامعة قبل أن يتقدموا لامتحان الليسانس^(٤) .

وعلى أى حال فقد تقدم صبرى لامتحان الليسانس فى عام ١٩١٨ وهو نفس العام الذى تقدم فيه الدكتور طه حسين لهذه الدرجة ، ونجح طه حسين ولم يوفق محمد صبرى فى هذا العام لرسوبه فى اللاتينية^(٥) .

- ١ - ذكر البعض أن مولده كان فى عام ١٨٩٠ . انظر على سبيل المثال فتوى رشوان: أفكار الكبار .
- ٢ - عرف بالسريونى نسبة إلى جامعة السربون التى تلقى العلم بها وقد نقب عليه هذا النقب .
- ٣ - أحمد حسين الطماوى : صبرى السريون سيرة تاريخية وصورة حياة . القاهرة . أعلام العرب ١٩٨٦ ص ٢٤ علماً بأن موطن أسرته الأصلي هو مدينة بلبيس شرقية .
- ٤ - طه حسين : الأيام ج٣ . القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية ص ١١٧ - ١١٨ .
- ٥ - على الرغم من أن الدكتور طه حسين أشاد بعوقف صبرى السريونى منه لايتناهجه بنجاحه رغم إغفائه هو فى الامتحان فإن السريونى كان له قول آخر فى طه حسين، ولا تدري إذا كان قد =

وفي أثناء وجود صبرى في باريس التقى بأعضاء الوفد المصرى الذى حضر إلى مؤتمر الصلح للدفاع عن حقوق مصر وعرض مطالبها ، وعمل سكرتيراً لمساعد زغلول فترة وجوده بباريس ثم اختلف مع الوفد وتفرغ لدراسته .

وبعد أن حصل صبرى على دكتوراه الدولة من جامعة السربون عاد إلى مصر فى عام ١٩٢٥ حيث عمل مدرّساً للتاريخ بمدرسة المعلمين العليا ثم فى الجامعة المصرية عند افتتاحها ونظراً لأنه كان من غير أهل الثقة لدى القصر الملكى الذى كان يكنّ له الكثير من الكراهية خصوصاً وأنه كان قد قال عن الملك فؤاد بأنه ملك بلا شعبية - نقل من الجامعة إلى دار العلوم فى عام ١٩٢٧ ثم ابتعد عن السلك الجامعى فعمل مديراً للبيئة التعليمية فى جنيف وتولى إدارة المطبوعات المصرية بالنيابة وفى عام ١٩٥١ عين مديراً لمعهد الوثائق والمكتبات التابع للجامعة المصرية^(١) .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو خرج فى حركة التطهير إلى المعاش نتيجة لاتهامه بالتزوير فى نتيجة امتحان مسابقة القبول بمعهد الوثائق .

والدكتور صبرى مؤلفات عديدة فى التاريخ والآداب والفكر ومن مؤلفاته التاريخية نذكر أن معظمها كتب بالفرنسية وقد ظل الدكتور صبرى ذلك بقوله أننا إذا كنا قد أصدرنا كل كتبنا التاريخية أولاً بلغة أوروبية كالفرنسية مثلاً فما ذلك إلا لأن هذه اللغة لغة علمية كثيرة التداول ، ولأن الأمانة العلمية ، وقوة الحكم والتقدير متوفرتان عند الأوروبيين ، ولأن مصدر تشويه الحقائق ونشرها شرقاً وغرباً هو أوروبا نفسها^(٢) وقد أعاد القراء على أن ينشر بالعربية كل ما كتبه بغيرها ، وبدأ فعلاً ينشر تاريخ الإمبراطورية السودانية ولكن يبدو أن المتاعب التى تعرض لها بعد ذلك قد جعلته يتوقف عن هذه المهمة .

١ - أصاب عين الحقيقة أم لا عندما ذكر أنه عندما أُعلنت نتيجة التيمائس لم يجد اسمه ولا اسم طه حسين ، ثم وجد بعد ذلك اسم طه حسين مشهوراً بين السطور بعد أن لعب طه وزوجته سوزان إلى السربون ، واستند مطبقهم واستثار شفقة هيئة المتحدين عليه .

انظر الآهام ج٣ ص ١٢٠ ، والطماوى ص ٤٨

٢ - لتفاصيل ذلك انظر : الطماوى ص ١٦٢ - ١٦٤ .

٣ - انظر الإمبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ، القاهرة مطبعة مصر ١٩٤٩ ص ٦ .

وفيما يلي نعرض للمؤلفات التاريخية .

- ١ - الثورة المصرية الذي صدر الجزء الأول منه بالفرنسية في عام ١٩١٩ تحت عنوان *La Révolution E'gyptienne* ، وقدم له أولار Aulard أستاذ الثورة الفرنسية بالسربون ويذكر الدكتور صبرى أنه ألف هذا الكتاب بتشجيع من سعد زغلول^(١) . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن صاحبه أبرز مظاهر كفاح الشعب المصرى ، وتماسك وحدته الوطنية خلال الثورة ، وأثبت الفطائع التي ارتكبتها الانجليز ضد الوطنيين المصريين ، كما نشر به بعض الصور لمظاهرات النساء ورجال الدين ، وجنازات الشهداء مما كان له أصداء واسعة في الرأي العام الأوروبى .
- ٢ - المسألة المصرية : وقد صدر الجزء الأول منه بالفرنسية في عام ١٩٢٠ والجزء الثانى في عام ١٩٢١ ، ويتناول الجزء الأول القضية المصرية منذ حملة بوناپرت على مصر الى ثورة ١٩١٩ أما الجزء الثانى فقد ركز على لجنة ملتر ومقاطعة المصريين لها وتبرز أهمية هذا الكتاب في أن صاحبها نجح في إبراز وجهة النظر المصرية أمام الأوربيين .
- ٣ - نشأة الروح القومية في مصر *La Genèse de l'Esprit National Egyptien* وهذه الدراسة هي التي حصل بها الدكتور صبرى على الدكتوراه في عام ١٩٢٤ من جامعة السربون . ويتجلى أهميتها في أن صاحبها أرخ بنشأة الروح القومية في مصر منذ عصر محمد على إلى قيام الثورة العربية بروح وطنية ورؤية جديدة^(٢) ، فلوّضح أن نشأة الروح القومية في مصر لم تبدأ مع الحملة الفرنسية كما يزعم الكثيرون بل إلى حركة على بك الكبير الذي أعلن انفصال مصر عن الدولة العثمانية ، وحاول أن يكون تعامل النول الأخرى مع مصر نون وسيط^(٣) ، وفتح الشام والمجاز بصفته حاكماً لدولة مصر المستقلة .

١ - الجمهورية في ١٩١٩/٧/٢٠ .

٢ - الكاتب : ديسمبر ١٩٢١ .

٣ - الطماوى : المرجع السابق ص ٧٨ .

٤ - تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم . وقد صدر هذا الكتاب في عام ١٩٢٦ وفيه ربط السياسة الانجليزية والعثمانية والأوروبية فيما يعرف بالمسألة الشرقية ، كما أوضح وجهة النظر المصرية تجاه الثورة العربية^(١) .

٥ - الثورة الفرنسية و نابليون وفيه عرض للمراحل المختلفة التي مرت بها الثورة الفرنسية ، وسياسة فرنسا الداخلية والخارجية أثناء حكم نابليون .

٦ - الامبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية L' Empire Egyptien Sous Mohamed Ali Et La Question d'orient (1811-1841)

وقد سجل في هذا الكتاب الضخم المكون من حوالي ٦٠٠ صفحة أهم حقبة في تاريخ المسألة الشرقية تلك الحقبة التي تمكن فيها محمد علي بمساعدة ابنه ابراهيم من رفع اسم مصر عالميا وأبرز فيه دور مصر في هذه المسألة ومحاولات انجلترا إفشال هذا الدور حتى تم عقد معاهدة لندن ١٨٤٠ م .

٧ - الإمبراطورية المصرية في عهد إسماعيل والتدخل الانجليزي الفرنسي L' Empire Egyptien Sous Ismaïl et L'ingérence Anglo française 1863-1879

وقد صدر هذا الكتاب في باريس باللغة الفرنسية عام ١٩٢٢ وفيه تحدث عن تاريخ مصر في عصر اسماعيل ، والتدخل الأوربي في إفريقيا ، وتعرض لمسألة قناة السويس من جوانبها الشقية وفي هذه الدراسة اعتمد السريوني على وثائق محفوظات سراي عابدين ووثائق الارشيف النمساوي .

٨ - مصر في افريقية الشرقية - هرد وزيلج وبريرة .

وقد صدر في عام ١٩٢٩ وفيه أوضح دور مصر في نشر الحضارة والمدنية وتعاليم الإسلام الصحيحة في هذه البلاد ، كما وقف على نتيجة هامة ، وهي أن العمران المصري في هذه المناطق رغم قصر حكم المصريين لها قد تفوق على العمران الانجليزي المصري في السودان رغم طول أمده .

٩ - قررت وزارة المعارف هذا الكتاب على طلاب مدرسة المعلمين العليا في عام ١٩٢٨ . ولكنها سرعان ما أمرت بالذلة بعد قليل وقررت مكانه كتاب محمد رفعت المنون " تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة "

٩ - الإمبراطورية السودانية في القرن التاسع عشر .

وترجع قصة هذا الكتاب إلى رغبة محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء في إعداد مذكرة عن القضية السودانية ، يمكنه الاستفادة منها خلال عرضه للقضية في مجلس الأمن ، وتكليف السريوني بإعداد هذه المذكرة التي سعد بها لأنها حسب قوله لم تكن مسافة وطنية فحسب بل هي أكثر من ذلك فهي أمانة علمية قبل كل شيء^(١) وقد تطورت هذه المذكرة وأصبحت كتاباً بالفرنسية تحت عنوان السودان المصري ١٨٢١-١٨٩٨ ثم ترجمت بعد ذلك إلى العربية، وأضيف إليها بعض الموضوعات ، وحملت عنوان "الإمبراطورية السودانية " وفي يقيننا أن عنوان هذا الكتاب يحتاج إلى إعادة نظر، لأنه لو طبقنا مقومات مفهوم الإمبراطورية على السودان لما وجدنا شيئاً يتسق مع هذا الاسم خاصة ، وأن السودان كان جزءاً من ممتلكات مصر في ذلك الوقت .

وعلى أي حال فقد بين السريوني في هذه الدراسة الصلات الوثيقة بين مصر والسودان ، وتطرق إلى الأطماع الأوربية التي تهدف إلى السيطرة عليه ، وتقسيم أوصاله، ومما يؤخذ على ما كتبه السريوني في هذه الدراسة قوله عن التوسع المصري في إفريقية بأنه احتلال وكان من الممكن أن يطلق عليه فتوحات أو توسع خاصة وأن كلمة احتلال^(٢) دائماً ما تطلق على الأوربيين الذين يستولون على البلاد الشرقية .

١٠ - أسرار قضية التنويل واتفاقية ١٨٨٨ م .

أصدر السريوني هذا الكتاب بعد تأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦ ، وقد أوضح فيه أحقية سيادة مصر على القناة كما أكد أن بريطانيا هي التي خرقت اتفاقية ١٨٨٨ في أثناء احتلالها لمصر ، وأن هذه الاتفاقية كانت تعطي مصر حقها الكامل في القناة . وقد أهدى السريوني هذا الكتاب للرئيس عبد الناصر مؤمم القناة . والغريب أن السريوني في مقدمته لهذا الكتاب يحاول مغالبة الرئيس عبد الناصر والتقرب منه بشكل واضح فيقول يجب على الكتاب أن يحتلوا في كتاباتهم خطاب عبد الناصر في رسالتهما واتزانها^(٣) ، وقد شكره عبد الناصر على إهدائه وتمنى له التوفيق في أبحاثه ودراساته .

١ - انظر الإمبراطورية السودانية ص ٤ .

٢ - انظر على سبيل المثال صفحات ٤٤ ، ١٣٢ ، ٢٤٣ من كتاب الإمبراطورية السودانية.

٣ - انظر كتاب القناة - أسرار قضية التنويل واتفاقية ١٨٨٨ ص ٣ .

١١ - فضيحة السويس

وقد صدر في عام ١٩٥٨ مذيلاً بوثائق هامة تدين دى لسبس وتكشف خطته ، وتشير إلى المؤامرات الدولية التي حيكت ضد مصر نتيجة لعودة حقوقها في القناة.

وإلى جانب ذلك فقد قدم السريوني للعديد من الكتب الهامة ومن أبرزها مذكرات أحمد عرابي * كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العربية * وكان من أوائل المصريين الذين دافعوا عن هذه الثورة وزعيمها فقال في مقدمته للمذكرات * كانت الثورة العربية أول حركة قومية قام بها المصريون بعد عدة قرون استسلموا فيها للغاصب حتى خيل للناس أنهم خلقوا للضم كما خلق غيرهم للحكم والسلطان ^(١) ومع أن هذا الكتاب صدر في عهد الملك فؤاد فلم يتورع صبرى السريوني في مهاجمة والده اسماعيل بقوله * كان المصريون يشكون حقاً من حكومة إسماعيل المطلقة التي كانت ترهقهم بضرائبها وإحكامها الجائرة ^(٢) كما اتهمه بالتفريط في حقوق مصر بقوله * ترك إسماعيل مصر مثقلة بالديون وترك موارد البلاد ومراقبتها في قبضة الشركات الأجنبية تستغلها لفسادها ، وترك الإدارة المصرية في أيدي الأوروبيين مما جرح المصريين في عزتهم القومية *.

وهكذا كتب صبرى السريوني تاريخ وادى النيل بروح وطنية خالصة، وبرؤية علمية خالية من القيود، وغير مقيدة بوجهة نظر حكومية أو غيرها فكانت كتاباته نضراً لمصر الذي دافع عن قضاياها، وتاريخ مصر الذي شابه بعض المؤثرات سواء من القصر أو الأجانب، فأرخ لتاريخ مصر في القرن التاسع عشر، ودافع عن قضايا وطنه ودفاع العالم المتمكن القادر على إبراز الأحداث التي صنعت المسيرة العلمية لمدرسة التاريخ الحديث.

ولم يقتصر دور السريوني على تأليف الكتب بل كلفته الحكومة بالعديد من البحوث منها البحث الذي كلفته به وزارة المعارف عن "نظارة حسين قنبري ومبدأ تعيين الوزراء" ^(٣)

١ - انظر الجزء الأول من المذكرات ، المقدمة ص (٦) .

٢ - المقدمة ص (د) .

٣ - دار الوثائق القومية : معالظ عابدين ، مطبعة ٢٢٦ ، الهامة المصرية ملف بعنوان " جمعيات ومعاهد وأندية في مصر "

يضاف إلى ذلك أنه قام بوضع مشروع لرسم ملكي عن إنشاء معهد فاروق الأول للثقافة العلمية العليا بهدف إحياء ثقافة قومية في البلاد تتفق مع روح العصر ومظاهر التقدم الحديث ، ودراسة عبقرية الشرق وفلسفته وتاريخه وأدابه ، والعناية في الوقت نفسه بدراسة عبقرية الغرب والمقارنة بينهما .

ويبدو أن الدكتور صبرى قد قدم هذا المشروع بصفة شخصية دون أن يطالبه أحد به ^(١) ، وعرض على اللجنة القومية للاحتفالات الخاصة بذكرى محمد على الكبير المنوية ١٩٤٩ وكان مصيره الحفظ في الأراج المعلقة .

يضاف إلى ذلك أن السريوني كان من رواد الأدب ونقاده خاصة وأنه كان يرى في التاريخ الأدبي استمراراً للتاريخ السياسي والإجتماعي كما أنه كان مغرباً بالشعر والشعراء ومن يرجع إلى الشوقيات المجهولة التي جمعها في جزئين كبيرين في مطلع الستينات يشعر بأنه استملك طرائق البحث وأدواته كما أنه كان مفكراً اجتماعياً متفهماً لأوضاع زمانه ، ومتشرباً لروح عصره ونتيجة لذلك تعرف على أشياخ الحركة الأدبية فتطدعت حلقته بإسماعيل صبرى ، وأحمد شوقي ، وخليل مطران وغيرهم وبما أضافه للمكتبة الأدبية نذكر .

١ - أدب وتاريخ

وقد صدر في عام ١٩٢٧ عن دار الكتب المصرية وهو مقسم إلى كتب ، الكتاب الأول محمود سامي البارودي ، والكتاب الثاني إسماعيل باشا صبرى ، والكتاب الثالث تاريخ الحركة الاستقلالية في إيطاليا ، والكتاب الرابع مختارات من مقالاته التي ظهرت في الصحف من عام ١٩١٢ حتى عام ١٩٢٧ ، وقد نشر في مقدمة الكتاب الأول الخاص بمحمود سامي البارودي رسالة من أمير الشعراء أحمد شوقي يقرظ فيها هذا الكتاب .

والجدير بالذكر أن القدير عباس حلمي الثاني كان قد كلف حسين فخري باشا بتأليف نظارة جديدة بدلا من رئيس النظارة مصطفى فهمي دون أخذ رأي الانجليز ، مما أدى إلى حدوث الأزمة المعروفة في التاريخ بالأزمة الوزارية ١٨٩٢ للتفاحيل انتظر كتابها مصر في التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة ١٩٩٢ ص ١٦٤ ، وكتابها القدير عباس الثاني والحزب الوطني ص ٦٥-٧٥ .

١ - دار الوثائق القومية، محافظ عابدين، محفظه ٢٢١ ملف بعنوان جمعيات ومعاهد وائدية في مصر.

٢ - الشوامخ وقد صدر في أربعة أجزاء عن دار الكتب المصرية في الفترة ما بين عامي ١٩٤٤ - ١٩٤٧ وأنفرد الجزء الأول بأمرى القيس ، والثاني بالشعر الجاهلي خصائصه وأعلامه والثالث بذي الرمة والرابع بلهى عبادة البحرى وقد قرظ خليل مطران شاعر القلمرين الجزء الأول من هذا الكتاب .

٣ - شعراء العصر . وقد صدر في جزئين ما بين عامي ١٩١٠-١٩١٢ .

٤ - في السياسة والأدب والاجتماع . وقد نشر فيه أهم المقالات والأبحاث التي قام بنشرها خلال عشرين عاماً من سنة ١٩٢٧ حتى عام ١٩٤٨ .

ومع كل ذلك فإن السريونى لم يتمتع بشهرة واسعة كما تمتع بها من هو أقل منه خبرة ومقدرة ، ربما لأنه لم يعرف كيف يسبح مع التيار ، وربما لأنه كان يدافع عما يعتقد أنه حق ، ويحاول أن يأخذ الأمور عنوة واقتداراً في كثير من الأحيان مما حجب عن الكثيرين سحر شخصيته ورويقها وعطافها . ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه من القلائل الذين اجتمعت فيهم جيل البعث الذى مهد الطريق لبناء مصر المعاصرة^(١) وإذا كان البعض قد أخذ عليه أنه لم يستطع تكوين مدرسة تاريخية من تلاميذه كما فعل غريال ، فالرد على ذلك أنه لم يعمل بالجامعة فترة طويلة ، كما أن عمله بمدرسة المعلمين أو بدار العلوم لم يكن ليتيح له مثل هذا الأمر .

لقد تيرم السريونى بالناس في أخريات حياته ، وشاق صدره بهم ، وساء ظنه فيهم ، وأصبح من السهل إثارة لأرضى الأسباب . وفى مساء الأربعاء الموافق الثامن عشر من يناير ١٩٧٨ صعدت روحه إلى بارئها ومن المعلوم أن بعض منسيا في عصر ضل فيه الوفاء وقل الأوفياء . وفى يقيننا أن نشر مذكراته المخطوطة سيكون فيه تكريم له وإشاعة هامة لتاريخنا المعاصر .

١ - للتفاصيل انظر الطماوى : المرجع السابق ص ٣٧٧ وما بعدها .

الدكتور محمد فؤاد محمد شكرى

١٩٠٤ - ١٩٦٣

من مؤرخى التاريخ الحديث والمعاصر المرموقين ، والذين أفنوا ذاتهم من أجل ارتقاء الحركة التاريخية فى مصر بشخصيات مغمورة بالنسبة لجيلنا الحالي رغم أهمية ما خلفته تلك الشخصيات من آثار امتلأت بها أرفف المكتبة التاريخية . وكل من حاول الكتابة فيها تعثر لندرة المادة العلمية التى يمكن أن يجمعها عنها ومن هؤلاء الدكتور محمد فؤاد شكرى .

ولد محمد فؤاد شكرى فى مدينة حلوان بالقاهرة فى ٢٧ من أغسطس ١٩٠٤ من أسرة حلبيه الأصل قاهرية الموطن ، ونظرا لوفاة والده وهو فى سن مبكرة تبناه خاله حسن بك مياس واعتنى بتربيته .

وقد تلقى الدكتور شكرى تعليمه فى مدرسة حلوان الابتدائية ومدرسة السعيدية الثانوية ثم تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، ونظرا لتفوقه فى دراسته وحصوله على الدرجات التى تؤهله لاستكمال دراسته العليا فى الخارج أوفدته وزارة المعارف فى بعث إلى إنجلترا لمدة ثلاثة سنوات للتخصص فى تاريخ القرن الوسطى بجامعة ليفربول بهدف إعداد مدرسين للمدارس الثانوية التابعة لوزارة المعارف^(١) . وهناك استطاع أن يغير تخصصه إلى التاريخ الحديث ، وأن يحصل على الدكتوراه فى موضوع بعنوان "الرق فى السودان فى عصر اسماعيل"^(٢) وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ وبعد انتهاء دراسته وعودته والى مصر عمل مدرسا بمدرسة شبرا الثانوية فترة ثم نقل الى الجامعة المصرية فى أكتوبر من عام ١٩٣٦ .

وفى عام ١٩٣٧ تقدم الاستاذ محمد شفيق غريال رئيس قسم التاريخ بمذكرة إلى عميد كلية الآداب يقترح فيها ترقية الدكتور شكرى إلى درجة مدرس فئة (أ) نظرا لأنه "يؤدى عمله فى الكلية بكل أمانة وإخلاص"^(٣) .

١ - دار الوثائق القومية : ملفات البعثات ، ملف رقم ١٢٨ بحث ١٩٣٦ .

٢ - المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادى عشر ١٩٦٣ .

٣ - دار الوثائق القومية : محافظ عابدين ، مخططة رقم ٢٢٦ - الجامعة المصرية ، مذكرة عن حالة الدكتور/ محمد فؤاد شكرى بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩٣٧ .

وقد وافق مجلس الكلية على هذا الاقتراح ، واستمر الدكتور شكرى يزاول عمله بالجامعة باحثاً ومعلماً حتى حصل على درجة الاستاذية فى عام ١٩٥٢ وخلال تلك الفترة ضم إلى الوفد المصرى كمستشار للقضية الليبية خلال عرضها على هيئة الأمم المتحدة كما انتدب للعمل مع وزارة الخارجية خلال فترة تحرير ليبيا .

وقد جمع الدكتور شكرى الى جانب غزارة المادة عمق الفكرة واصالة الرأى لا يقتنع بالسطحية فى معالجة الأمور ، وإنما يفوس فى اعماق المادة العلمية ليخرج بالثمين من الأفكار وإلى جانب ذلك كان استاذاً معلماً بكل معانى الكلمة يوجه تلاميذه بالرأى السديد والعلم الواسع والخبرة الأصيلة ، يعرض فكرة ورأيه فى حرية ، ويدير المناقشات والجلسات العلمية والتي كان يحضرها لغير من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية فى منزله بعد ظهر كل خميس يضيف خلالها من علمه ما يفتح الأفاق بين الباحثين ^(١) .

وحول منهجه ورأيه فى دور المؤرخ وفلسفة التاريخ يرى الدكتور شكرى أن مهمة المؤرخ تتبع من تحرر الحقائق أولاً وذلك عن طريق أن يكلف المؤرخ نفسه مشقة التنقيب عن تفاصيل وقائى الوقائع التي يريد أن تستند عليها أحكامه أو يجرى عليها تعليقاته حتى يستطيع ربطها ربطاً صحيحاً ^(٢) .

وبالنسبة لتفسير التاريخ وفلسفته فإنه يرى أن تفسير التاريخ عملية مستمرة ، وذلك فى ضوء ما هو متجدد دائماً من تيارات فكرية ناشئة من تراكم الحقائق المستكشفة من بطون الوثائق والاسانيد والتي هي كذلك منبعثة من تطوير المجتمع فى شتى مناحيه ^(٣) .

١ - محمود صالح منسى : قناة السويس بين اتباع سان سيمون وفردنانان دى لسيبس تحت عنوان "ولاء وتقدير" .

٢ - محمد فؤاد شكرى : مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ج١ القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٨ ، تصدير الكتاب ص (٤) .

٣ - انظر كتابه . الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩ - ١٨٤٨ المجلد الأول .

ومن فلسفة التاريخ فهو يرى أنها تعنى التفسير السليم والصحيح الذى يجعل
ممكناً إدراك الغاية من الأحداث التى وقعت ، ولا يجب إطلاقاً أن تكون مجرد استصدار
أحكام مبسّرة أو ابداء ملاحظات وآراء سريعة قد تكون عليها مسحة من الطرافة فى
بعض الأحيان ولكنها فى كثير من الأوقات تكون متعارضة مع الحقيقة^(١) .

وحول هذا المنهج خرجت على يدى الدكتور شكرى عشرات الرسائل العلمية الجادة
والمتنوعة فى موضوعاتها واتجاهاتها ، والعديد من المؤلفات التى يشار لها بالبنان .

ومن الرسائل العلمية التى أشرف عليها الدكتور شكرى نذكر رسالة مصطفى ابو
حاكمة للماجستير (دراسة علاقة فلسطين بمشروعات محمد على وابراهيم فى
الشام^(٢)) ورسالتى محمد عبد الرحمن برج للماجستير والدكتوراه " حياد قناة السويس
، منشأ فكرة الحياد وتطورها من وقت الامتياز الأول لنهاية الحرب العالمية الأولى
١٧٥٤-١٩١٩^(٣) " وأهمية قناة السويس الاستراتيجية والسياسية وتأثيرها على العلاقات
بين مصر وبريطانيا ١٩١٥ - ١٩٥٤^(٤) " ورسالتى السيد محمد رجب حراز للماجستير
والدكتوراه " انتشار النفوذ الايطالى السياسى فى ساحل البحر الأحمر الغربى
والسودان الشرقى وغرباً الشرقى فى القرن التاسع عشر وتأسيس مستعمرتى أرتريا
والصومال^(٥) " و " انتشار النفوذ البريطانى فى شرق افريقيا ووسطها فى القرن
التاسع عشر^(٦) " ورسالة يوسف خليل جادالله للدكتوراه " تطور الحركة القومية فى
مصر ١٨٨٢ - ١٩١٩^(٧) " ورسالة محمود حلمى مصطفى للماجستير " التنظيمات

١ - انظر كتابه مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ج ١ ص (ر) .

٢ - تم اجازتها فى عام ١٩٥٥ .

٣ - تم اجازتها فى عام ١٩٥٧ .

٤ - تم اجازتها فى عام ١٩٦١ .

٥ - تم اجازتها فى عام ١٩٥٨ .

٦ - تم اجازتها فى عام ١٩٦٢ .

٧ - تم اجازتها فى عام ١٩٥٧ .

الإدارية والحكومية وتأثيرها في مصر في الفترة ما بين ١٨٨٢ - ١٩١٤^(١) * ورسالة محمد صديق سلجوقي " تأسيس دولة الأفغان الحديثة " (٢) * ورسالة ليلي الصباغ للماجستير " احتلال العثمانيين لسوريا وبداية سوريا العثمانية " (٣) * ورسالة نصيف صليب للدكتوراه " تاريخ العلاقات بين مصر وأثيوبيا وأثرها على السودان الشرقي في الفترة ١٨٦٢ - ١٨٧٩^(٤) " ورسالة أحمد فريد على للدكتوراه " تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية وأثرها في تطور الحركة الوطنية ١٩١٤ - ١٩٥٢^(٥) * .

وبالنسبة لمؤلفات الدكتور شكرى العنيدة والمتنوعة فتشمل خمسة عشر كتابا منها خمسة في تاريخ مصر وخمسة في تاريخ السودان وثلاثة في تاريخ أوروبا واثنان في تاريخ ليبيا وفيما يلي نعرض لبعضهم .

١ - عبدالله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر^(٦) .

وقد أوضح الدكتور شكرى في هذه الدراسة أن الحملة الفرنسية على مصر كانت أول تجربة استعمارية من نوعها قامت على أسس مغايرة لتلك التي شيدت عليها الدول الاستعمارية في السنوات السابقة مستعمراتها وأنها كانت أول تجربة للحكم الاجنبي الأوربي صادفتها مصر في القرن التاسع عشر ، كما عني بإبراز شخصية جاك مينو الذي اقتصت في عهده المشاريع والنظم الاستعمارية الفرنسية الجديدة ومدى رد الفعل الذي حدث بين المصريين نتيجة لأساليب الحياة الجديدة التي شاعروها .

والمتخصص لهذه الدراسة يرى أن المؤلف قد عني باستقصاء الحقائق التي اتصلت بأصول هذه الحملة وتعمق في بحث النتائج التي ترتبت عليها هذا إلى جانب اعتماده على مجموعة من الوثائق والأسانيد الأصلية التي لم يسبقه أحد إلى نشرها .

١ - تم إجازتها في عام ١٩٥٨ .

٢ - تم إجازتها في عام ١٩٦٠ .

٣ - تم إجازتها في عام ١٩٦١ .

٤ - تم إجازتها في عام ١٩٦١ .

٥ - تم إجازتها في عام ١٩٦٢ .

٦ - القاهرة مكتبة الشاذلي ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .

والشيء اللافت للانتباه والمضحك الميكى فى نفس الوقت قيام دار الفكر العربى بنشر هذا الكتاب بعد وفاة صاحبه بعنوان آخره " الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر " وتقديم الدكتور بدوى عبد اللطيف استاذ التاريخ الاسلامى بكلية اصول الدين جامعة الأزهر له .

٢ - الحملة الفرنسية وظهور محمد على ^(١)

وقد ربطت هذه الدراسة تاريخ الحملة الفرنسية على مصر بتاريخ الاستعمار الفرنسى الحديث وأبرزت ما أحدثته هذه الحملة فى حياة الشعب المصرى من تغييرات متعددة . وتطرق إلى الأسباب التى أدت إلى فشل هذه الحملة ، كما تعرضت للطريقة التى وصل بها محمد على إلى حكم مصر ، واستغلاله لكافة الظروف التى مكنته من الاستئثار بها .

٣ - مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١ ^(٢)

وتتناول هذه الدراسة تاريخ مصر خلال السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر أى منذ خروج الحملة الفرنسية على مصر فى عام ١٨٠١ إلى قيام منجبة القلعة فى عام ١٨١١ .

وقد أرجع الدكتور شكرى سبب اختياره لهذه الفترة إلى أنها مليئة بالأحداث ذات الأثر الحاسم فى تاريخ مصر حيث شهدت بداية التنافس الانجليزى الفرنسى على الاستئثار بالنفوذ السياسى فى مصر .

وقد قسم الدكتور شكرى دراسته إلى ثلاثة أجزاء شمل الجزء الأول منها فترة الغوضى السياسية بعد خروج الفرنسيين من مصر وظهور محمد على . وتناول الجزء الثانى ولاية محمد على والمشاكل التى واجهته فى بداية حكمه . وتطرق إلى حملة فريزر على مصر وقشلها . أما الجزء الثالث فتناول سياسة محمد على بعد انفرادة بالسلطة ووصوله الى منصب الباشوية ، ودعم أركان حكمه بالقضاء للمشايع والقضاء على المماليك.

١ - قامت دار المعارف بنشره .

٢ - طبعت جامعة القاهرة فى عام ١٩٥٨ فى ثلاثة أجزاء .

٤ - بناء دولة مصر محمد علي - السياسة الداخلية^(١) .

وقد عالج هذا الكتاب سياسة محمد علي الداخلية ، وأحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإدارية والحربية في عهده في محاولة لاستجلاء الجوانب الغامضة واستكمال ما أغفلته المؤلفات الأخرى ، ومناقشة ما ورد فيها من آراء .

وإلى جانب ذلك يشمل هذا الكتاب على مجموعة من الوثائق التاريخية الأصلية التي ترسم صورة واضحة لأحوال مصر في ذلك الوقت ومن أهمها تقرير الدكتور بورنج Bowring الخبير البريطاني بشئون الشرق الأوسط والمستخرج من سجلات مجلس العموم المحفوظة في Public Record office والذي يقدم مادة طيبة للمؤرخ حول عصر محمد علي .

٥ - ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها^(٢) .

ويرجع تأليف هذا الكتاب إلى أن الدكتور شكرى شهد مولد دولة ليبيا عن كثب وأسهم بنصيب كبير في النشاط السياسى الذى كان يتوقف نجاحه أو إخفاقه على ظفر القطر الليبى بوحدة واستقلاله أو حرمانه منها وكان لزاما عليه أن يعرض للحقيقة والتاريخ كل ما لديه من وثائق وأسناد للاحاطة بالتيارات والدوافع التى ساعدت على تشكيل كل ما وقع من حوادث في تلك الفترة .

٦ - السنوسية دين وقولة^(٣) .

وقد حاول الدكتور شكرى في هذه الدراسة اثبات الدور الهام والمؤثر الذى قامت به هذه الحركة الدينية في ليبيا سواء في الدين أو السياسة ، فقد عملت على اقتفاء أثر السلف الصالح بتعميم التعليم الدينى ووسيلتهم إلى ذلك انشاء الزوايا التى تعد بمثابة دور عبادة ومراكز حياة وعمل ونظام بمعنى أن هذه الدعوة لم تقتصر على العبادة والتصوف بل دعت أيضا إلى العمل المنتج والنشط حتى يعيش أفرادها من كدهم

١ - بالاشتراك مع عبد المقصود العناني وسيد خليل وقد نشرته دار الفكر العربي في عام ١٩٤٨ .

٢ - نشرت بالقاهرة في عام ١٩٥٧ .

٣ - نشرت بالقاهرة في عام ١٩٤٨ .

وعرقهم ، كما تعرضت هذه الدراسة أيضا لوقوف السنوسيين ضد بعثات التنصير والمحاولات الاستعمارية للهيمنة على البلاد الاسلامية .

٧ - مصر والسيادة على السودان - الوضع التاريخي للمسألة^(١) .

وفي هذه الدراسة تناول الدكتور شكرى العلاقات المصرية السودانية منذ الفتح المصرى للسودان فى عهد محمد على إلى عقد الوفاق الثنائى بين مصر وبريطانيا فى عام ١٨٩٩ وفى ثنايا ذلك حاول ازالة ما علق بالأزمان عن مساوىء الحكم المصرى فى السودان مستندا فى ذلك على الوثائق والأسانيد التى لا تنفى ذلك فحسب بل انها لتدل دلالة واضحة على أن حكم المصريين للسودان كان عادلا يهدف إلى تحقيق الخير للسودانيين ، والسير بهم إلى مراقي التقدم والحضارة .

ومع كل ذلك وعلى الرغم من غزارة المادة العلمية فى هذا الكتاب فيبينو أن الدكتور شكرى لم يكن موافقا فى اختياره لعنوان الكتاب ، خصوصا وان كلمة السيادة تعد كريمة لدى أبناء مصر والسودان على السواء وشعوب الأرض قاطبة .

٨ - مصر والسودان - تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠ - ١٨٩٩^(٢) .

وتتناول هذه الدراسة تاريخ وادى النيل شماله وجنوبه وذلك منذ أن تأسست الوحدة السياسية فى مطلع القرن التاسع عشر إلى الاحتلال البريطانى لمصر فى عام ١٨٨٢ وضياع السودان ثم استرجاعه وانشاء نظام الحكم ا لثنائى فى السودان بين مصر وبريطانيا فى عام ١٨٩٩ تلك الاتفاقية المشهورة التى خولت انجلترا رسميا حق الاشتراك فى ادارة شئون الحكم فى السودان ورفع العلم الانجليزى الى جانب العلم المصرى . وتعيين حاكم عام للسودان بناء على طلب الحكومة البريطانية مما أدى الى استتكار مصر لتلك الاتفاقية وبسقط الصحف العربية على ما اعتبرته سلبا لحقوق مصر الادارية فى السودان .

١ - نشرته دار الفكر العربى فى عام ١٩٤٦ .

٢ - نشرته دار المعارف فى عدة طبعات كان اخرها الطبعة الثالثة فى عام ١٩٦٢ .

والكتاب في مجمله يسجل أحداث البلدين الشقيقين بطريقة علمية مؤيدة بالوثائق والأسانيد .

٩ - الصراع بين البرجوازية والاقطاع ١٧٨٩ - ١٨٤٧^(١) .

وقد عالج الدكتور شكرى في هذه الدراسة المكونة من جزئين الصلة بين منشأ الفكر القومي والمذهب الحر من ناحية وظهور البرجوازية أو الطبقة المتوسطة التي خاضت غمار نضال عنيف ضد الاقطاعيين والحكومات المطلقة السلطة والطبقات الارستقراطية في المجتمع الأوربي من ناحية أخرى ، كما أوضح أن الثورة الفرنسية وامبراطورية نابليون كانتا بمثابة التجربة الحاسمة لاختبار قدرة البرجوازية على الوصول إلى قمة السلطة ، وتحطيم بقايا الاقطاع في كافة أنحاء أوروبا ، ثم تعرض للأسباب التي أدت إلى سقوط الامبراطورية النابليونية وبعث الملكية والنظام الاقطاعي من جديد ، والذي كان يمثل نظامه أصديق لتمثيل الوزير النمساوي مترنخ .

والكتاب في مجمله محاولة جادة لسد فراغ في المكتبة العربية حول دراسة تاريخ أوروبا القرن التاسع عشر على يد أستاذ متخصص خاصة وأن الاعتقاد السائد بين اساتذة الجامعات المصرية وقتذاك هو أن الأوربيين أولى وأحق بشؤون تاريخهم مما جعل معظمهم يؤثرون النقل والترجمة على التصنيف والتأليف .

واستمر الدكتور شكرى في إثراء المكتبة التاريخية العربية حتى أصيب بتصلب في الشرايين ، واقعده مرضه الشديد عن مزاولة عمله . وعلى الرغم من أن مجلس الجامعة وافق على سفره للعلاج في الخارج فإن اللجنة الطبية بوزارة الصحة رأت أن علاجه متوفر في مصر ولا داعي لسفره ، وحددت له مبلغا لمساعدته على تكاليف العلاج . وبعد أن نقد هذا المبلغ لم يجد الدكتور شكرى مئنا للدواء ولم تمهله مئنه ليستكمل دراساته فانتقل إلى جوار ربه في ١٩٦٢/١١/٢٤ بعد حياة علمية حافلة . ورغبة من جامعة القاهرة في مساندة أحوال أسرته المعيشية قامت بشراء مكتبته الزاخرة بألف من الجنيهات ، ولكن مع الاسف قامت مصلحة الضرائب بحجز جزء كبير من هذا المبلغ .

وعلى الرغم من أنه كان يجب على الجمعية التاريخية - التي تمثل المؤرخين المصريين على كافة اتجاهاتهم - القيام بتأيينه بشكل يتلاءم مع مكانته العلمية فإن شيئاً من ذلك لم يحدث واقتصر الأمر على نعيه في سطور قليلة ومقتضبه في المجلد الحادى عشر للمجلة عام ١٩٦٣^(١) على حين قامت الجمعية بتأيين غيره من المؤرخين بما يتناسب مع مكانتهم .

وقد يجرنا ذلك الى التطرق للحديث عن الموضوعية والذاتية لدى بعض المؤرخين وهل العلاقات الانسانية والخلافات الشخصية مع الآخرين يمكن أن تطفئ على ما عداها من الأمور أم أن موضوعية المؤرخ تقتضى تجرده من العواطف الذاتية والتحييز الشخصى .

الواقع ان خلافاً الدكتور شكرى مع الأستاذ غريال وتلاميذه من المؤرخين كان لها أكبر الأثر في ابتعاد شكرى عن أنشطة الجمعية التاريخية وفي عدم حصوله على حقه من التكريم ليس في حياته وحسب بل بعد مماته أيضاً .

وهكذا طويت سيرة عالم ضليع ، وأستاذ كرّس حياته لخدمة الحركة التاريخية تأليفاً وتديساً وكان جزاؤه النكران وعلى أى حال فقد خسرت الجامعات المصرية والعربية بوفاته خسارة جسيمة .

١ - بمناسبة مرور ما يقرب من ثلاثين عاماً على وفاته رأيت الجمعية التاريخية إقامة معاشرة عنه تتلقى ومكانته العلمية ، فألقى تلميذه الدكتور محمد عبد الرحمن برج هذه المعاشرة بمقر الجمعية في ١٩ ديسمبر ١٩٩٢ تحت عنوان " محمد فؤاد شكرى مؤرخاً " .

الدكتور حسن عثمان

١٩٠٨ - ١٩٧٣

يمثل الدكتور حسن عثمان نمطا فريدا من المؤرخين المصريين فقد كان فنانا بالدرجة التي كان بها مؤرخا وأديبا ، عشق عصر النهضة الأوربية ، وقد أدى عشقه وتعلقه بهذا العصر إلى ايجاد مدرسة مصرية متميزة في الأدب الإنساني والفن والاجتماعي ، مدرسة تقوم على المنهج العلمي في التاريخ وتدعو إلى الجمع بين الفن والأدب والتاريخ وإدخال دراسة الثقافة الفنية مثل فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة وفنون الموسيقى والمسرح ضمن مناهج الدراسة في كليات الآداب بهدف خدمة الدراسات الإنسانية والتي من بينها التاريخ^(١) .

وإلى جانب ذلك كان حسن عثمان من الرعيل الأول الذي أبرز أهمية ترجمة المؤلفات التاريخية من الإيطالية إلى العربية وجعلها من اهتمامات الباحثين .

تلقى حسن عثمان دراسته الجامعية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، ونهل من ينابيع العلم على يد الرعيل الأول من علماء مصر ، وقد عرف خلال دراسته بأجتهاده وإخلاصه ونشاطه الدائب في طلب العلم ، وإلى جانب ذلك كان يتصف بعدة صفات كريمة لعل أبرزها عزة النفس وألفة الطبع ، ولم يكن حصوله على الليسانس في التاريخ بدرجة الامتياز في عام ١٩٢٢ إلا ثمرة لكفاحه من أجل الوصول الى التفوق ، وبرغم ذلك عين في السنة نفسها مدرسا بمدرسة إهبابة الابتدائية بالجيزة^(٢) ثم حصل حسن عثمان على درجة الماجستير بإشراف شفيق غربال في عام ١٩٣٤ في موضوع كان يبدو غريبا في ذلك الوقت وعنوانه " فخر الدين بن معن الثاني أمير لبنان " وكان بذلك أول من نال درجة الماجستير في التاريخ الحديث بالجامعة المصرية وبعدها أرسل في بعثة إلى إيطاليا في عام ١٩٣٥م للحصول على الدكتوراه في تاريخ الشرق الأدنى من جامعة

١ - انظر كتابه منهج البحث التاريخي ، القاهرة ، دار المعارف الطبعة الرابعة ص ٤٤ .

٢ - المجلة التاريخية المصرية : المجلد الحادي والعشرون ١٩٧٤ من خطاب تعيين الدكتور حسن عثمان الذي ألقاه الدكتور محمد السروجي .

روما وكانت بعثته هذه موافقة غاية التوفيق ، وخاصة وأن البعثات في ذلك الوقت كانت مقصورة على إنجلترا وفرنسا ، ويعد أن درس اللغة الإيطالية استهوته مظاهر النهضة الإيطالية وأدبها وفنونها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر^(١) فدفعه ميله إلى الأدب والفن إلى دراسة دانتي أحد أعلام عصر النهضة الإيطالية^(٢) ولكن أستاذه لم يوافق على ذلك في أول الأمر لسببين :

١ - سوء تقدير الجامعة المصرية للدكتوراه الإيطالية .

٢ - أن تاريخ الشرق الأدنى الحديث هو مجال بعثته .

ولكن هذه المعارضة لم تستمر طويلا فبعد أن أرسل حسن عثمان إلى أستاذه غريال ترجمته للجسيم ، بدأ يتقهم مدى شغف تلميذه بدراسة تراث " دانتي " ومبلغ معاناته في إتمام هذا العمل فكتب إليه في السادس من نوفمبر ١٩٥٩ يقول " كنت سعيدا من أجلك - فقد لقيت على ما يظهر الكثير من أجل دانتي ، وإن إتمام العمل الذي يصعب الإنسان عمرا نوع من تلك الرقبة - فهنيئا لك نعمة الحرية . وبقى - بعد أن تتم ما تبقى من دانتي أن تشغل (في اعتيارك) ما اكتسبت من نظرتك للإنسان . وعلى كل حال لكل يوم شأنه ، ولتجعل اليوم يوم ارتياح لشأن تم ولقد شئت^(٣) .

وحصل حسن عثمان على الدكتوراه من جامعة روما في ديسمبر ١٩٢٨ ، وعين في أعقابها مدرسا مساعدا بكلية الآداب بالجامعة المصرية وبقى كذلك حتى نقل إلى كلية الآداب جامعة الاسكندرية في عام ١٩٤٢ ليشغل وظيفة مدرس في التاريخ الحديث . وفي مارس ١٩٤٧ رقي إلى وظيفة استاذ مساعد وبقى بها إلى أول ديسمبر ١٩٥٠ ، ثم نقل إلى معهد الدراسات السودانية بجامعة القاهرة استاذاً لكرسي تاريخ السودان وآثاره .

وفي عام ١٩٦٤ تولى منصب رئيس المعهد ، وبقى إلى أن أحيل إلى المعاش في عام ١٩٦٨ ، وظل يشغل وظيفة استاذ تاريخ السودان حتى وفاته في ٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

١ - من حديث الدكتور عزت عبد الكريم أثناء حفل التأبين .

٢ - ولد في فلورنسا عام ١٣٦٥ ، وتشت فيه آثار العصور الوسطى مع تراث العصور القديمة وثقافة العصر الذي عاش فيه .

٣ - حسن عثمان : منهج البحث التاريخي ص ٩٤ .

وقد أشرف الدكتور حسن عثمان على عدد قليل جداً من الرسائل ويخاصة في أثناء عمله بمعهد الدراسات الأفريقية نذكر منها الرسالة التي أعدها جميل أسحق عبيد للدكتوراه وعنوانها مديونية خط الاستواء في الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٩٢ .

والدكتور حسن عثمان العديد من المؤلفات المتنوعة باللغات العربية والإيطالية والإنجليزية وإن كان معظمها يدور حول الشاعر الإيطالي دانتي وتلك الأبحاث هي .

١ - البحر الأحمر كطريق تجارى فى عهد البيزنطيين والعرب والشماليك .

٢ - دير الأنبا انطونيوس .

وقد نشر البحثان فى كتاب بعنوان " رحلة كلية الآداب إلى ساحل البحر الأحمر وبعض مناطق الآثار بالوجه القبلى برياسة الأستاذ شفيق غريال " .

٣ - كيف يكتب التاريخ - سبع مقالات بمجلة الرسالة ^(١) .

٤ - البحر مناجاة أدبية ^(٢) .

٥ - فخر الدين الثانى أمير لبنان وبلاد تسكانا (١٦٠٥ - ١٦٣٥) عرض ونقد لكتاب الأب بولس قرالى مع تقديم وثائق جديدة لم تنتشر عنه ^(٣) .

٦ - سافونا رولا (أربع مقالات) ^(٤) .

٧ - سوريا ولبنان فى التاريخ المعاصر - عرض ونقد لكتاب البرت حوارنى ^(٥) .

هذا عن أبحاث ودراساته المتنوعة . أما أبحاث عن دانتي فهى كثيرة نذكر منها :

١ - دانتي الجيجيرى : حياته وشخصيته ^(٦) .

٢ - فرنشيسكا دار يعينى عند دانتي الجيجيرى - ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من " الجحيم " ^(٧) .

١ - انظر أعداد مجلة الرسالة أغسطس - ديسمبر ١٩٤٦ .

٢ - انظر مجلة الرسالة عدد ١٧ نوفمبر ١٩٤٦ .

٣ - انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، المجلد السادس ١٩٤٢ .

٤ - انظر مجلة الثقافة الأعداد ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ - ديسمبر - نوفمبر ١٩٤٣ .

٥ - المجلة التاريخية المصرية : المجلد الأول أكتوبر ١٩٤٨ .

٦ - انظر مجلة الكاتب المصرى : العدد ٣١ من المجلد الثامن ، أبريل ١٩٤٨ .

٧ - انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول جلد ١١ مايو ١٩٤٩ .

٢ - غاريثانا دلي أوريتي وكافالكانتى دى كافالكانتى فى جحيم دانتي - ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم^(١) .

٤ - أوجو ليتو دى لاجيرار دسكا فى جحيم دانتي - ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من الجحيم^(٢) .

٥ - الأثشودة الخامسة من مطهر دانتي ، ترجمة وتحليل وشروح وتعليقات مع تقديم نص من المطهر^(٣) وإلى جانب ذلك كان لقيام حسن عثمان بالتدريس فى معهد البحوث والدراسات الأفريقية أثره فى دراسته للكوميديا الإلهية إذ أخذ يهتم بإبراز ما ذكره دانتي عن إفريقية ، ونتيجة لذلك كتب ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع . أولها " إفريقية فى جحيم دانتي " وقد قام فيه بترجمة بعض النصوص الواردة فى هذا الموضوع وقدم لها بالعديد من التعليقات والشرح^(٤) .

وثانيها كان بعنوان " إفريقية فى مطهر دانتي " وقدم فيه نصوصاً من المطهر للاستشهاد بها مع تحليلها والتعليق عليها^(٥) .

أما الثالث فكان بعنوان " إفريقية فى فردوس دانتي " وهو عبارة عن ترجمة لبعض النصوص من الفردوس وتحليلها والتعليق عليها .

وكتب الدكتور حسن عثمان بحثاً بالانجليزية بعنوان

Dante in Arabic, In the Seventy third Annual Report of the Dante Society of America. Widener Library, Harvard University, Cambridge Massachuseets U.S.A, 1955

١ - انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ج٢ المجلد ١١ ديسمبر ١٩٤٩ .

٢ - انظر مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ج٢ المجلد ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ .

٣ - انظر مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ج١ المجلد الثامن عشر مايو ١٩٥٨ .

٤ - انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد العاشر ١٩٥٦ .

٥ - انظر مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد الرابع عشر ١٩٦٠ .

كما كتب مقدمة بالإيطالية والعربية لكتاب الاستاذ * طه فوزى * عن دانتى
اليجيبرى الذى صدر فى القاهرة

Dante e il Mondo Arabo, nella rivista " Fattie Notizia " de lla pirelli
agosto 1967 .

أما الكتب التى ألها أو ترجمها فهى :

١ - رسالته للماجستير المعنونة * فخر الدين بن معن الثانى أمير لبنان * نوقشت
بالجامعة فى عام ١٩٣٤ ولم تنشر حتى الآن .

2 - Fakhr-ud-Din II Emero del libano e le sue Relazioni con l'occidente,
con Documenti Inediti, P.I Roma, 1938.

وهى رسالته للدكتوراه التى حصل عليها من جامعة روما فى عام ١٩٣٨ ولم تنشر
إلى الآن ^(١) .

٣ - تاريخ مصر فى العصر العثمانى (١٥١٧ - ١٧٩٨) وقد نشره بالاشتراك مع
الأستاذ محمد محمد توفيق فى كتاب * المجلد فى التاريخ المصرى ^(٢) الذى
أصدره بعض أعضاء هيئة التدريس ^(٣) بكلية الآداب بجامعة لقواد الأول فى عام
١٩٤٢ وفيه تعرض إلى الفتح العثمانى لمصر ، والحكومة والإدارة فى مصر
العثمانية ، وبعض النواحي فى تاريخ مصر العثمانى .

٤ - منهج البحث التاريخى وقد صدرت منه طبعات عديدة كان أولها فى عام ١٩٤٣ . وهذا
الكتاب من المؤلفات ذات الأهمية القصوى لدى الباحثين ، وخاصة أن صاحبه

١ - من خطاب التأبين للدكتور السروجى ص ٦ .

٢ - اعتمد المؤلفان فى هذا الكتاب على العديد من الوثائق التركية التى تنطق بتاريخ الإدارة العثمانية
فى مصر .

٣ - شارك فى تأليف هذا الكتاب الاساتذة سليمان حزين ، وعبد المنعم أبو بكر ، وإبراهيم تصحى ،
وحسن إبراهيم ، وحسن عثمان وأحمد عزت عبد الكريم ، ومحمد مصطفى صفوت ، وكان الهدف
من تأليفه ونشره المحرر الأول فى كتابة تاريخ شامل لمصر باللغة العربية .

اعتمد فيه على خلاصة ما ورد في العديد من المؤلفات الأوروبية والأمريكية والعربية الفاحصة بمناهج البحث كما أنه استرشد فيه ببعض ما كتبه علماء المسلمين في الرواية والحديث .

٥ - " سافونا رولا : الراهب الثائر " وقد صدر عن دار الكاتب المصري بالقاهرة في عام ١٩٤٧ وحاز به صاحبه على جائزة الدولة في عام ١٩٤٩ م .

٦ - على أن أهم عمل قام به حسن عثمان هو ترجمته للكوميديا الإلهية والتي قام بنشرها في الفترة من ١٩٥٩ - ١٩٧٢ وقد صدر منها .

أ - النشيد الأول " الجحيم " في عام ١٩٥٩ .

ب - النشيد الثاني " المطهر " في عام ١٩٦٤ .

ج - النشيد الثالث " الفردوس " في عام ١٩٧٢ .

وقد زودت هذه الترجمات بمقدمة وتحليل وشروح وتعليقات .

وطريقته في ترجمة الكوميديا هي أن يجمع في النص المترجم بين روح البيان العربي والمحافظة على المعنى .

ونتيجة للجهود المصنية التي بذلها الدكتور حسن عثمان وبخاصة في ترجمة أمهات الأدب الإيطالي - في مجال الدراسات الدانتية - إلى العربية حصل على العديد من الجوائز منها .

١ - ميدالية " أوسكار دا ماليا " الذهبية الدولية في عام ١٩٦٥ بمناسبة الذكرى المئوية السابعة ليلاد دانتي (بالاشتراك مع اساتذة آخرين) .

٢ - جائزة الدولة التشجيعية في فن الترجمة مع وسام المعارف من الدرجة الأولى .

٣ - جائزة اللجنة الوطنية الإيطالية الدانتية من فلورنسا في ٣٠ أبريل ١٩٦٦ .

٤ - جائزة وزارة الخارجية الإيطالية في روما في ٢٨ يوليو ١٩٦٦ .

٥ - الميدالية الذهبية من المجمع العلمي للعلماء الدانتيين في روما في ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ (بالاشتراك مع اساتذة آخرين) .

٦ - الميدالية الذهبية من "جمعية دانتي البيجييري" في بالرمو في ١٥ ديسمبر ١٩٦٦ .

٧ - الدكتوراه الفخرية من جامعة بالرمو بصلقية في ٨ مايو ١٩٧٣ .

وإلى جانب ذلك اشترك الدكتور حسن عثمان في العديد من المؤتمرات الدولية منها:

١ - المؤتمر الدولي الدانتي في فلورنسا في أبريل ١٩٦٥ .

٢ - المؤتمر الدولي الدانتي في فينيزيا في أكتوبر ١٩٦٥ .

يضاف إلى ذلك أنه كان عضواً في العديد من الجمعيات العلمية نذكر منها
مؤسسته بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية وجمعية دانتي بجامعة هارفارد بالولايات
المتحدة ، ومؤسسته الفخرية في المجمع العلمي للعلماء الدانتيين في روما^(١) .

وكانت آمال الدكتور حسن عثمان العلمية كياراً : فقد كان ينوي قبل وفاته أن
يغرس للقيام بدراسة عن العلاقة بين الموسيقى والأدب في عصر دانتي ، ومن المشروعات
التي راودته ، وشغلت تفكيره أيضاً ترجمة أعمال بترارك ، ولكن المنية أعجلته عن أن
يحقق شيئاً من ذلك .

وتقضى مشيئة الله أن تنعاه مصر في التاسع والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ في
خلال انتصاراتها في معارك أكتوبر ، وفي يوم وداعها لعبيد الأدب العربي الدكتور طه
حسين فيشيع نبأ وفاته في زحمة الأحداث^(٢) .

١ - من خطاب التأييد للدكتور السروجي ص ١٠ .

٢ - د. السروجي : من خطاب التأييد .

الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

١٩٨٠ - ١٩٠٩

ولد الدكتور عزت عبد الكريم في شبين الكوم محافظة المنوفية في ١٩ يونيو عام ١٩٠٩ وأتم تعليمه الابتدائي بمدرسة قنا الابتدائية عام ١٩٢٢ والثانوي بمدرسة الزقازيق الثانوية في عام ١٩٢٦ حيث حصل على شهادة البكالوريا (أدبي) وفي أعقاب ذلك التحق بكلية الآداب قسم التاريخ بالجامعة المصرية وعلى الرغم من أن الدراسة لم تكن سهلة هيته في مطلع حياة كلية الآداب فقد بنى أقرانه في الدراسة خاصة وأنه كان أسبقهم في ارتياد المكتبة بعد انتهاء المحاضرات في كل يوم ، وظلت المكتبة والاطلاع فيها جزءاً لا يتجزأ من حياته ، كذلك كسبت فيه منذ دخوله الجامعة بذرة الفكر العميق ، وظلت البذرة تؤتي ثمرها على مدى الأيام^(١) .

وبعد تخرجه من كلية الآداب في عام ١٩٣٠ حصل على دبلوم معهد التربية في عام ١٩٣٣ ثم تابع دراسته العليا فحصل على درجة الماجستير في عام ١٩٣٦ بإشراف الأستاذ محمد شفيق غريال وكان موضوع رسالته " تاريخ التعليم في عصر محمد علي " ثم كان أول من ينال درجة الدكتوراه في التاريخ من خريجي الجامعة وكان ذلك في عام ١٩٤١ وكان موضوع رسالته " تاريخ التعليم في مصر منذ أواخر عصر محمد علي إلى أوائل حكم توفيق " وكانت بإشراف غريال أيضاً فألقى ذلك المكتبة العربية بأشجع بحث في تاريخ التعليم أصبح المرجع الأول في ذلك الحقل في شتى الجامعات .

وقد عمل عزت عبد الكريم بالتدريس في جامعة فؤاد الأول منذ عام ١٩٢٨ ثم نقل إلى جامعة إبراهيم باشا الكبير (عين شمس) منذ انشائها في عام ١٩٥٠ .

وقد اجتمعت في عزت عبد ا الكريم كل سمات المؤرخ من حيث يقظة الضمير العلمي، وعدم التحيز ، وسماحة النفس وإدراك المواقف والربط بين الأحداث ، وحس المؤرخ يضاف الى ذلك نبل خلقه ، وذكائه المتوقد . وكل هذه الصفات جعلت منه ينبوعاً دافقاً من العلم والخلق وسفراً شع شياؤه على المدرسة التاريخية الحديثة فلا غرو إذا

١ - أروىح ذلك رفيق صباه الدكتور عبد الحميد البطريق في مقابلة لي معه خلال صيف ١٩٩٢ .

أحاطه بتلاميذه بهالة مضيئة من مشاعر الحب والتقدير ، سواء في ذلك من تلقوا عنه ، ومن قرأوا له ، ومن اتصلت أسيابهم بأسبابه ، ومن أفاضوا منه عن قرب في محاضراته أو عن بعد في كتبه وأبحاثه .

ونتيجة لذلك دعى للتدريس وإلقاء المحاضرات ومناقشة الرسائل الجامعية في كثير من الجامعات العربية والأجنبية في دمشق ، وبنغازي ، والخرطوم ، وبيروت ، والكويت ، وهران فأكسبه هذا سمعة علمية مرموقة في مختلف المؤسسات العلمية العربية ، وعمل استاذاً زائراً في جامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٢ وأتيح له حضور عدد من المؤتمرات العلمية في التاريخ : مؤتمر التاريخ والأثر في المغرب عام ١٩٥٨ ومؤتمر التاريخ الأسبوي في الهند عام ١٩٦١ ومؤتمر التاريخ النولي في بغداد عام ١٩٧٣^(١) ومؤتمر الحضارة العربية بالجامعة اللبنانية ببيروت عام ١٩٧٥^(٢) .

هذا بالإضافة إلى قيامه بالتدريس بمعهد البحوث والدراسات العربية منذ إنشائه وفي كل هذه المجالات تميز الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بسمات الاستاذ العالم من اهتمام بمحاضراته وبحوثه ، وتوثيق علاقته الأبوية بطلابه الذين ترك فيهم أثراً باقية كان يغذيها استمرار صلاته بهم بعد التخرج من الناحية العلمية والناحية الاجتماعية .

ولعل ما يضاف إلى رصيده العلمي انشاءه لسمتار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس في عام ١٩٥٥ للإشراف المتواصل على أبحاث تلاميذه بالدراسات العليا وتدريبهم على أصول البحث العلمي وتوجيههم الى المادة التاريخية الأصلية ، وبقى مواظباً في شتى الظروف على عقد هذه الجلسة العلمية مساء كل يوم خميس حتى صار السمتار الذي يحمل اسمه سمة مميزة وبارزة في مجال العلاقات الجامعية والعمل العلمي وصار له في مختلف الجامعات المصرية والعربية تلامذة ومريدون يشغل معظمهم منصب الاستاذية في هذه الجامعات.

١ - من مذكرات قدمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية إلى المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية لترشيح الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٣ - ٧٢ .

٢ - سمات الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بمناسبة مرور عشرين عاماً على تأسيسه ص ٥ .

وقد وجه الدكتور عزت عبد الكريم تلاميذه في الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر وعن الرسائل التي خرجت على يديه في هذا المجال نذكر رسالتى الدكتور عبد العزيز نوار للماجستير والدكتوراه "داود باشا وإلى بغداد ١٨١٦-١٨٣١" و "تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مصطفى باشا ١٨٣١-١٨٧٢" ورسالتى الدكتور جمال زكريا قاسم للماجستير والدكتوراه "دولة البوسعيد في عمان وزنجبار منذ تأسيسها حتى انقسامها ١٧٤١ - ١٦٨١" ورسالتى الدكتور السيد مصطفى سالم للماجستير والدكتوراه "اليمن في عهد الامام يحيى"، و"الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٢٨ - ١٦٣٥" ورسالتى الدكتور يونان لبيب رزق للماجستير والدكتوراه "العلاقات الخارجية للدولة المهدية في عهد الخليفة عبدالله التعايشى"، و"السودان في عهد الحكم الثنائي الأول" ورسالة عمر على اسماعيل للماجستير "انهيار الاسره القرمانية في ليبيا ١٨٢٧ - ١٨٣٥". م.

وإلى جانب ذلك فقد شجع الدكتور عزت تلاميذه على طرق تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى والاهتمام بدراسة البناء الاجتماعى للأمة المصرية في العصر الحديث فكتب رؤوف عباس الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢ " للماجستير " والملكيات الزراعية الكبرى وأثرها في المجتمع المصرى ١٨٣٧ - ١٩١٤ " للدكتوراه وكتب محمود متولى الأصول التاريخية للأسمالية المصرية وتطورها .

ومما يجدر بالذكر أيضا أن الدكتور عزت عبد الكريم أسهم مساهمات جادة منذ سنوات طويلة في إعداد المناهج التاريخية للمدارس الثانوية فشارك في وضع بعض الكتب المدرسية وكان أهمها كتاب في تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر ، والكتاب الذى شارك الدكتور البطريق والدكتور أبو الفتوح رشوان في تأليفه تحت عنوان تاريخ مصر الحديث والذى كان جديدا إذا ما قيس بكل الكتب المدرسية التى كتبت قبله^(١) .

وفى مجال التأليف والترجمة نجد للدكتور عزت عبد الكريم مؤلفات تقتون باسمه منها " تاريخ التعليم في عصر محمد على " و " تاريخ التعليم منذ أواخر عصر محمد

١ - أبو الفتوح رشوان : التاريخ في مناهج الدراسة بمصر من ١٩٢٣ .

على إلى أوائل حكم توفيق * (في أربعة أجزاء) كما شارك في تأليف كتاب * تاريخ أوروبا الاقتصادية * و * المجلد في تاريخ مصر العام * .

ولعل آخر كتبه كان كتابه * دراسات في تاريخ العرب الحديث * وفيما يلي نعرض لهذه المؤلفات .

١ - تاريخ التعليم في مصر محمد علي ^(١) .

وقد ملأت هذه الدراسة فراغا كبيرا في ميدان دراسة التربية والتعليم بمصر خاصة وأنها مدعمة بالوثائق في كل فصل من فصولها حيث استعان المؤلف بمصادر متعددة أهمها لوائح التعليم والدفاتر المصرية والتركية والوثائق المختلفة الخاصة بإصلاح التعليم وكتب المعاصرين .

كما تتميز هذه الدراسة بقدرتها صاحبها على الموازنة والمقارنة بين المصادر ومحاولة كشف ما بها من غموض .

٢ - تاريخ التعليم منذ أواخر حكم محمد علي إلى أوائل عهد توفيق ويتكون من ثلاثة أجزاء . وجزء خاص بالوثائق واللوائح التعليمية ^(٢) ويعالج الجزء الأول تاريخ التعليم في مصر في عصرى عباس وسعيد من ١٨٤٨ إلى ١٨٦٣ ويفرد المؤلف بعد ذلك جزيئا لدراسة التعليم في عصر اسماعيل فيطالعنا في الجزء الأول بمحاولات نشر التعليم الأولى والابتدائي بين عامة الناس خاصة بعد أن طالب مجلس شورى النواب بتعليم أبناء الشعب ، ووضعت الخطط في لائحة رجب الشهيرة في عام ١٨٦٧ لتحقيق ذلك .

وفي الجزء الثانى عالج عزت عيد الكريم الإصلاحات الخاصة بتنظيم التعليم والخطط الدراسية وتعرض بشكل واضح للتعليم التجهيزي والعالي والبيئات التي تم إيقادها إلى أوروبا .

وقد شجعت وفرة المعلومات في هذا الموضوع المؤلف على الخوض في تفاصيل عديدة منها تعرضه لذكر أسماء نظار المدارس وموظفى الديوان وأسماء المدارس

١ - نشرته مكتبة النهضة المصرية في عام ١٩٢٨ .

٢ - تولت وزارة المعارف طبع هذه الأجزاء لأهميتها العلمية والتنظيمية .

الأجنبية وغيرها وكان يمكنه الاكتفاء بذكر معظم هذه البيانات والإحصاءات في الجزء الخاص بالملحق ، يضاف الى ذلك انه لم يتعرض بالمقارنة بين ما حدث للتعليم في مصر من تطوير وما كان يسود أوروبا من تقدم في ذلك الوقت ، كما أنه لم يعالج بعض الاتجاهات الثقافية التي تمخض عنها ذلك العصر كمركزة ظهور الوعي القومي في الميدان التعليمي ، وأثر نشاط الجاليات الأوروبية في النهضة العلمية بمصر .

ومع أن هذه الدراسة أشبه بتكوين للتعليم ، ومع انها تعد دراسة هامة في تاريخ مصر الاجتماعي الوصفى فانها ايضا كشفت لنا حقائق جديدة وهامة عرضها صاحبها بطريقة تميزت بحسن التعليل والتدليل مع الاهتمام بالتفاصيل .

- تاريخ أوروبا الاقتصادي :

ويستشف من هذه الدراسة تمكن الدكتور عزت عبد الكريم من المزج الدقيق بين التطور الاقتصادي في أوروبا الحديث وتأريخها السياسي والاجتماعي .

- تاريخ مصر من العملة الفرنسية إلى نهاية عصر اسماعيل ١٧٩٨ - ١٨٧٩

وقد نشرت هذه الدراسة ضمن كتاب " المجلد في تاريخ مصر العام " الذي صدر في عام ١٩٤٢ بقلم مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة فؤاد الأول ، وهي عبارة عن دراسة هامة يرجع اليها الدارسون لتطور مصر الحديث والراغبون في تتبع المعالم الأساسية في هذا التاريخ . وقد برزت فيها العوامل التي تصافرت على تشكيل تاريخ مصر في هذه الفترة وهي شخصية ولاية مصر وموقف الدولة العثمانية ، وسياسة الدول الأوروبية بأزاء مصر ، ونشأة الشعور القومي^(١) .

- العرب والسياسة الدولية .

دراسة أصدرها المكتب الثقافي لحزب البعث العربي بسورية عرض فيها الدكتور عزت لنشوء الوعي القومي عند العرب وأثره في ايجاد رابطة الجامعة العربية ، وضرورة اتباع سياسة حيادية تجاه التيارات السياسية الدولية^(٢) .

١ - للتفاصيل انظر المجلد في التاريخ المصري ص ٢٨٥ - ٣٧٥ .

٢ - الكتاب : المجلد السادس في يونيو ١٩٤٨ ص ١٣٢ .

- دراسات في تاريخ العرب الحديث .

ويضم هذا الكتاب ست دراسات في تاريخ العرب الحديث سبق نشر أربع منها أما الدراستان الخامسة فلم يسبق نشرها وهذه الدراسات الست على الرغم من تنوعها من حيث الموضوع والزمان والمكان فإنها ترتبط باطار واحد هو اطار التاريخ العربي الحديث منذ بدايته في فترة الفتح العثمانية حتى حرب يونيو ١٩٦٧ وأثارها ، فإذا كان عنوان الفصل الأول هو " العلاقات بين الشرق العربي وأوروبا في القرنين السادس عشر والتاسع عشر " فإن عنوان الفصل الأخير من هذا الكتاب " المعالم الرئيسية في تاريخ القضية الفلسطينية " وبين هذا وذاك تناول فصول الكتاب دراسات متنوعة من تاريخ العرب الحديث في الشرق والمغرب فعن المشرق تناول الفصل الثاني من الكتاب " التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني " وتناول الفصل الثالث " دمشق في منتصف القرن الثامن عشر " ودرس الفصل الرابع " نهضة مصر في القرن التاسع عشر " أما عن المغرب فقد تناول الكتاب في فصله الخامس المسألة الجزائرية في السياسة الدولية منذ تأسيس القيابة إلى حملة ١٨٣٠ .

وفي مجال التحقيق العلمي أصدر الدكتور عزت عبد الكريم تحقيقا لحواليات الكاتب الدمشقي الشيخ أحمد البديري الحلاق الذي صور الحياة الاجتماعية في دمشق في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي . وقد صدر تحقيقه لهذه المخطوطة بمقدمة طويلة شملت حوالي ستين صفحة بين فيها أعمية الموضوع وعرض للمواد التي تحويها الحواريات ^(١) .

وفي هذا المجال أيضا نشر في حواليات كلية الآداب جامعة عين شمس عن " التنظيم الإداري بسورية في العصر العثماني " هذا إلى جانب بحوث أخرى نشرت في مجلات وحواريات علية منفردة " في أصول المسألة الجزائرية " و " التغيير الاجتماعي لمجتمع القاهرة في القرن التاسع عشر " و " أزمة الفكر العربي في مطلع العصر الحديث " و " الجبرتي مؤرخ مصرى على مفترق الطرق " والتأليف التاريخي في مصر بين التقليد والتجديد " .

١ - نشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية في عام ١٩٥٩ .

وفي مجال الترجمة أسهم الدكتور عزت عبد الكريم في ترجمة كتاب البندقية جمهورية أرستقراطية^(١) * لشارل ديبل^(٢) والذي تعرض لنظام البندقية السياسي وتطورها التاريخي ، وتطرق إلى العوامل التي كونت عظمتها ثم الأسباب التي أدت إلى انحلالها وقد بذل الدكتور عزت جهدا بارزا في انتقاء المصطلحات اللازمة للتعبير عن مكنون المعاني التي أرادها الكاتب ، ووفى شروط الأمانة في النقل فجاءت الترجمة دقيقة ومعمقة ، يضاف إلى ذلك قيامه بمراجعة بعض الترجمات المهمة التي أثرت المكتبة العربية في موضوعات لها أهميتها ، ساعده في ذلك تمكنه العلمي ، والملمه الواسع بأساليب اللغتين العربية والانجليزية وقد عرف عنه الدقة والحرس في هذا المجال^(٣).

وإلى جانب ذلك أصدر الدكتور عزت عبد الكريم سلسلة * المكتبة التاريخية * ذلك المشروع العلمي الذي قام على أساس تكوين سلسلة من الدراسات التاريخية بالاعتماد المتخصصين في شتى فروع المعرفة التاريخية ليستفيد منها طلاب الجامعات وكل صاحب حظ من ثقافة . وقد أخذ هذا المشروع طريقه إلى الظهور في يونيو ١٩٥٨ ، وصدر الدكتور عزت كل كتاب من هذه المجموعة بمقدمة علمية شاملة^(٤) .

ونتيجة لجهود الدكتور عزت عبد الكريم المثمرة ونوره في خدمة الدراسات التاريخية ثم اختياره رئيسا للجمعية التاريخية في الفترة من ١٩٦٥ - ١٩٧٦ وقد بذل فيها من جهده ووقته خاصة في مجال تنظيم الندوات ، والمواسم الثقافية ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتها في تاريخها ، ويرجع نجاح هذه الندوات إلى الجهود التي كان يبذلها في الترتيب والتنظيم والإدارة الحكيمة ، وإلى خبرته وولعه الشديد بأن تكن شار هذه الندوات يانعة^(٥) فقد حرص على إقامة ندوة سنوية لمناقشة حياة مؤرخ من اعلام مؤرخي مصر وسيرته ومنهجه وأعماله العلمية على نحو علمي يليق بمكانته وذلك بهدف إحياء ذكري اعلام المؤرخين . وحتى يتوافر لمثل هذه الندوات

١ - نشرتها دار المعارف في عام ١٩٤٨ وقد شارك في ترجمتها الاستاذ توفيق اسكندر.

٢ - استاذ التاريخ البيزنطي بجامعة باريس وعضو الجمع الفرنسي .

٣ - مذكرة الجمعية التاريخية بشأن ترشيح الدكتور احمد عزت عبد الكريم لجائزة الدولة التقديرية.

٤ - انظر العدد الأول من السلسلة .

٥ - د. عبد المنعم الجميلى : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ص ١٥٧ .

الامكانيات المالية والإعلامية وغيرها شارك المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في هذه السنوات . وقد بدأت هذه السنوات بشوة عن المؤرخ " تقى الدين المقرئى" في الرابع من مايو ١٩٦٦ وثلاثا ندوة عن المؤرخ " القلقشندي " ثم ندوة عن المؤرخ " عبد الرحمن بن عبد الحكم " وندوة عن " أبى المحاسن بن تغرى بردى " وتبعتها الندوة العلمية عن " ابن اياس " ثم احتفلت الجمعية في عام ١٩٧٤ بمرور مائة وخمسين عاما على وفاة المؤرخ " عبد الرحمن الجبرئى " .

ويضاف الى ذلك أن الدكتور عزت عبد الكريم دفع الجمعية إلى المشاركة في العديد من المناسبات العلمية والقومية فقد أقامت الجمعية ندوة مصطفى كامل " بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد الزعيم مصطفى كامل .

ولم تقتصر سنوات عزت عبد الكريم على الجمعية التاريخية بل أقام في سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس الذى يعتبر لجنة من لبياته العديد من المؤتمرات السنوية فتتلم السمنار ندوة " وثائق تاريخ العرب الحديث " وندوة " البحر الأحمر في التاريخ " وندوة " الثورة العربية بمناسبة مرور مائة عام على قيامها " .

هذا عن الدكتور عزت عبد الكريم الباحث والمعلم والمؤرخ وهناك مجال آخر برز فيه وهو التطبيق العلمى لأفكاره واستاذيته في مجال أوسع حين تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس ثلاث سنوات ١٩٦٦ - ١٩٦٤ شهدت فيها الكلية آثار جهوده وملاقاته بطلته وأعضاء هيئة التدريس فقد كان قنوة في الانتكباب على العمل في نقه واحاطة واسعه ، وقد أهله ذلك لتولى وكالة جامعة عين شمس ثم تعيينه مديرا للجامعة نفسها في عام ١٩٦٨ حتى أحيل إلى المعاش في العام التالي :

ولم تقتصر جهوده في خدمة التعليم الجامعى على جامعة عين شمس وإنما امتدت إلى التعليم الجامعى بصفة عامة فاختير رئيسا للجنة قطاع الدراسة والعلوم الإنسانية بالمجلس الأعلى للجامعات وهى اللجنة التى اشرفت على تطوير الدراسة بكليات الآداب ، ودار العلوم في سنتي ٦٨-١٩٦٩ كما كان أيضا مقرا للجنة الدائمة لفحص إنتاج أساتذة التاريخ في الجامعات المصرية .

وقد شارك الدكتور عزت عبد الكريم في نشاط " المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية عدة سنوات ، فكان عضوا به ، كما عمل عضواً بـ لجنة التاريخ والآثار بالمجلس وظل الدكتور عزت ملتصقاً بقاءات الدرس معتزاً باستاثيرته قبل كل شئ . وعندما واهمه المرض ، وكنت قواء الجسدية ، ظل كما هو صاحب الذهن الصافي ، والمنهج الفكرى السليم يتعامل على نفسه ، ويرأس حلقات البحث بضمير يقطر ، وحافطة واعية ، وحاسة نقد عميقة .

وهكذا كان للدكتور عزت عبد الكريم الأثر الكبير في تكوين جيل كبير من دارسى التاريخ الحديث واستاذته فى شتى البلدان العربية طوال مدة تربيو على الأربعةين عاماً قضاهما فى حماسة وصبر كبيرين فكان نعم الاستاذ والموجه لتلاميذه ولناهلين من علمه .

هذا الى جانب انه ترك الدنيا فى عام ١٩٨٠ بعد أن خلف وراءه تراثاً هاماً للأجيال القادمة ، واستطاع بذلك أن يترك بصماته على مسار تاريخنا الحديث .

الدكتور عبد العزيز الشناوى

على الرغم من أن الأستاذ الجامعي يعد مثقف الأجيال وشاحن قلوبها إلى المثاليات والأفكار المتجددة ، فإن عدم شعوره بالأمن على نفسه ، وأحاساسه بظلم وقع عليه قد يجعله حاداً في تصرفاته حتى مع أقرب الناس إليه ، وهذا في تصوّر هو المدخل الذي يمكن أن نقترب به من الدكتور الشناوى عندما نكتب عنه وبما قدمه لتاريخ مصر الحديث والمعاصر .

ولد الدكتور عبد العزيز الشناوى بمدينة الاسكندرية فى عام ١٩١١ وتخرج من كلية الآداب بالجامعة المصرية فى عام ١٩٣٤ وحصل على الدبلوم العالى فى التربية عام ١٩٣٦ ، وعلى درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً) فى عام ١٩٤٨ تحت إشراف المؤرخ محمد شفيق غريال ، وفى عام ١٩٥٣ حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الاسكندرية تحت إشراف الدكتور محمد مصطفى صفوت وكانت بعنوان : " السخرة فى حفر قناة السويس - عصر اسماعيل "

ومن حياة الدكتور الشناوى العلمية فقد عمل مدرّساً بالمدارس الثانوية عقب حصوله على دبلوم التربية ، كما عمل مدرّساً بمعهدى أسيوط والاسكندرية للمعلمين ، وبعد حصوله على الدكتوراه انتقل الى العمل فى السلك الجامعى فعين استاذاً مساعداً للتاريخ الحديث بكلية المعلمين بالقاهرة ثم استاذاً ورئيساً لقسم التاريخ بها .

وللدكتور الشناوى مع قادة ٢٣ يوليو تجارب مريرة أدت به إلى السجن والتعذيب غير الانساني لفترة ، خاصة بعد اتهامه خطأً باخفاء بعض الوثائق الخاصة بقناة السويس والتي كانت يريد بها الرئيس عبد الناصر أن يثبت للعالم أحقية مصر فى القناة خلال أزمة التأميم .

وبعد انتهاء أزمته مع رجال الثورة وخروجه من السجن تقدم لشغل وظيفة أستاذ كرسي التاريخ الحديث التي كانت جامعة الأزهر قد أعلنت عنها فى عام ١٩٦٤ بعد صدور القرار الجمهورى بتطوير الدراسة فى هذه الجامعة ، ووقع عليه الاختيار لشغل هذه الوظيفة بقسم التاريخ والمضاربة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، ولما انشأ قسم التاريخ بكلية البنات الاسلامية فى عام ١٩٦٩ انتدب انتداباً كلياً للتدريس به .

والدكتور الشناوى مؤلفات عديدة منها ما سابر فيه مدرسة رائكة الألمانية من حيث تفصيل الأحداث ، ومنها ما سابر فيها التيار الاسلامى خصوصا بعد عمله بجامعة الأزهر .

وحول التيار الأول كتب الشناوى رسالته للدكتوراه * السخرة فى حفر قناة السويس * وفيها تعرض لتاريخ السخرة فى حفر القناة فى عصر سعيد و يواعث معارضة اسماعيل لهذا النظام . ورفض الشركه لذلك ، وتنخل الحكومه الفرنسيه وتحكيم الامبراطور نابليون الثالث بالغاء السخرة فى حفر القناة فى نظير أن تدفع مصر للشركه أموالا طائفة . واستكمالا لهذا الموضوع كتب الشناوى بحثا بعنوان " ما تكلفه مصر فى انشاء قناة السويس " ونشرته المجلة التاريخيه فى عام ١٩٥٧ كما كتب دراسة مستقيضة بعنوان " قناة السويس والتيارات السياسية التى أحاطت بانشائها " وقام معهد البحوث والدراسات العربيه بنشرها فى عام ١٩٧١ .

ومع أن الاتجاه السائد بين أساتذة الجامعات المصرية فى ذلك الوقت هو التركيز على الدراسات الخاصة بتاريخ مصر والعالم العربى فقد اهتم الدكتور الشناوى بدراسة تاريخ أوروبا منذ مطلع العصور الحديثه بحجة أن تاريخ أوروبا الحديث لا يزال يحتل مكانا بارزا فى خطط الدراسة بالاسام التاريخ فى الجامعات وأنه من غير المقبول أن يترك الطلاب يعتمدون اعتمادا أساسيا فى دراسة التاريخ الأوربي الحديث على مؤلفات اساتذة أجانب غير مبرئين من عوامل التعصب أو التحيز أو النظرة الاستعملائية (١) .

وفى هذا الاتجاه أيضا كتب الشناوى " حادث جريدة اليوسفور اجيبيسيان - أزمة سياسية بين مصر وفرنسا فى أوائل عهد الاحتلال البريطانى (٢) " وفيه صور أحوال مصر فى السنوات الأولى للاحتلال ، وعدم ركون الشعب المصرى إلى الاستكانة والخضوع ، وانطلاق العديد من الصحف المصرية فى التنديد بالاحتلال وعرضها لشتى صفوف الأنشطة على يد نوهار ولما كان الفرنسيون فى مصر أكثر الأجانب سطحا على الاحتلال فقد انطلقت الصحافة الفرنسية المحلية فى مصر تعبر عن هذا السخط

١ - انظر كتابه " أوروبا فى مطلع العصور الحديثه " ج١ القاهرة ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ ص ١٢ - ١٤ .

٢ - انظر المجلة التاريخيه المصريه ، المجلد التاسع ١٩٦٢ ص ١١٧ - ٢١٢ .

وتشير المتاعب أمام الاحتلال وعملاته ، وكانت جريدة اليوسفور اجبسيان في مقدمة هذه الصحف ، ونتيجة لذلك أمرت الحكومة المصرية بالغاء الجريدة واغلاق مطبعتها مما أثار أزمة سياسية حادة وأدى إلى تدخل الحكومة الفرنسية في الأمر ومطالبتها بترضية مناسبة مما دفع الحكومة المصرية للجوء الى الباب العالي خلال الأزمة .

وفي النهاية أذن نوبار للنصيحة البريطانية لفتوحه في الثالث من مايو ١٨٨٥ إلى دار القنصلية الفرنسية بالقاهرة ، وقدم اعتذارا رسميا ، كما أمر رجال الشرطة بإزالة الاختتام عن باب المطبعة ، وتسليم المبنى إلى مندوب قنصلية فرنسا وعلى هذا الأساس عادت الجريدة إلى الظهور .

والواقع ان جريدة اليوسفور لم تكن سوى مظهرا من مظاهر الصراع بين بريطانيا وفرنسا بهدف العمل على عودة النفوذ الفرنسي الى مصر ، وإقامة نظام دولي يكفل مصالح أوروبا في مصر .

هذا نموذج من كتابات الشناوى التى سائر فيها كتابات المدرسة الألمانية من حيث الاهتمام بتقصى الحقائق وإبرازها وتدعيمها بالأسانيد التاريخية .

والجدير بالذكر أن أبرز تلاميذ الشناوى الذين ساءروا هذا المنهج هو الدكتور محمود صالح منسى ، فقد أشرف الدكتور الشناوى على رسالته للدكتوراه وكانت موضوعها " الشرق العربى ابان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩٢٠ " كما أشرف الدكتور محمد فؤاد شكرى على رسالته للماجستير وكانت بعنوان " امتياز حفر قناة السويس فى عهد سعيد وصلة ذلك بأعمال السان سيمونيين وجهود فردينان دى لفسس لشنق طريق مائى فى برزخ السويس " وكلاهما من أصحاب اتجاه مدرسة رائكة .

وبالنسبة لتيار الثانى فيبرز فى المؤلفات التالية :

١- دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى

وفى هذه الدراسة أوضح الشناوى أن دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى كان نتاج عدة عوامل تشابرت معا فى الإبقاء على الوجه العربى لمصر^(١) منها عوامل

١ - انظر دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر ، القاهرة وزارة الثقافة ، ١٩٧٦ ص ٥٠-٥٦ .

ذاتيه انبثقت من الأزهر نفسه ، ومن رسوخ مركزه في الحياة المصرية بحيث طبعها بطابع خاص ، وهذا الأزهر جزءاً لا يتجزأ من الحياة العامة في مصر سواء في النواحي السياسية أو الدينية أو العلمية أو الاجتماعية ، ومنها عوامل أخرى تتصل بها يمكن أن نطلق عليه فلسفة الحكم العثماني . فقد كان الأزهر الحصن الحصين للغة العربية ، وكان علمائه ومجاوروه هم حراس هذا المعقل ، حافظوا على التراث الحضاري الفكري الإسلامي ، وبخاصة اللغة العربية لساناً وأدباً وسط ظروف متناهية في قسوتها وظلامها وسفها ، واستماعوا طوال ثلاث قرون رد اللغة التركية عن التسلل إلى المجتمع المصري.

٢ - صور من دور الأزهر في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر .

وفي هذه الدراسة تطرق الشناوي إلى فترة الترابط العربي والإسلامي بين الشعوب العربية حيث تطوع مجاهدون من الحجاز وطرابلس وغيرها للجهاد ضد الفرنسيين .

واستكمالاً لهذا الاتجاه صدر للدكتور الشناوي في يوليو ١٩٦٧ كتاب بعنوان عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية^(١) وفيه وصف عمر مكرم بأنه " زعيم ينتمي إلى النخبة النبوية الشريفة " وانه " كان مسلماً في عقيدته ، أزهرياً في ثقافته ، عربياً في أصالته ، عثمانياً في نزعت " .

وعلى ضوء ذلك تعرض الشناوي لكفاح عمر مكرم ونضاله بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، ووقوفه بجانب الشعب المصري كلما اشتدت عليه مظالم الحكام ومساندته لمحمد علي خلال توليته حكم مصر ، بدوره الواضح في مقاومة حملة فريزر ، ومعارضته لمحمد علي عندما حاد - من وجهة نظره - عن جادة الصواب وخرج على ما اتفق عليه .

وفي بداية الثمانينات من هذا القرن أصدر الشناوي كتابه الشهير " الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها " وهو عبارة عن موسوعة في أربعة أجزاء^(٢) شملت ٢٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، وفيها تغنى بأمجاد الدولة العثمانية التي اجتاحت جيوشها

١ - انظر العدد ٦٧ من سلسلة اعلام العرب .

٢ - أصدرت مكتبة الانجلو المصرية الجزيان الأول والثاني في عام ١٩٨٠ والجزء الثالث في عام ١٩٨٢ أما الجزء الرابع والأخير فقد صدر في عام ١٩٨٦ بعد أن وافاء الأجل بقليل .

الإسلامية القاليم شاسعة فى جنوبى شرق أوربا ووسطها وأحرزت باسم الإسلام انتصارات خاطفة وباهرة .

وعلى الرغم من أن المؤلف ذكر فى مقدمة كتابه أن دراسته عبارة عن دراسة علمية موضوعية محايدة^(١) فنحن نرى أن دراسته بعيدة عن الحياد خاصة وأن عنوان الكتاب نفسه يؤكد ذلك . وقد كان يمكنه أن يضع فى خاتمة كتابه ما توصل اليه من أن الدولة العثمانية مفترى عليها أم لا بدلا من أن يضع ذلك عنوانا لدراسته وعلى خلاف كتابه وعلى أى حال فقد شملت هذه الدراسة جوانب عديدة ومكثفة تطرق فيها صاحبها الى التاريخ الحديث والمعاصر فى الشرق والغرب ، وإلى التاريخ الإسلامى فى العصور الوسطى ، وإلى النظريات والنظم السياسية وإلى القانون الدولى العام والعلاقات الدولية فضلا عن قواعد الشريعة الإسلامية من حيث تعدد الزوجات واقتناء الجوارى ، وعمليات القضاء وغيرها . وإلى جانب ذلك فللدكتور الشناوى دراسة بعنوان " الأزهر جامعا وجامعة " فى جزئين من ٨٨٠ صفحة وفيها أوضح الدور العلمى والسياسى للأزهر منذ انشائه حتى ثورة ١٩٥٢ فوصفه بأنه قلعة اسلامية وقفت فى وجه الحملة الفرنسية التى كانت بمثابة أول غزو عسكري مسيحي أوربى فى التاريخ الحديث لولاية عربية اسلامية ووقفت فى مواجهة الحملة الانجليزية على مصر فى عام ١٨٠٧ ووقفت علمازه إلى جانب الثورة العربية^(٢) كما وقفوا الى جانب المشتركين فى ثورة ١٩١٩ وافسدوا كل محاولات الإنجليز للفرقة بين المسلمين والاقباط

١ - انظر ج ١ المقدمة ص ٦ .

٢ - فى الحقيقة أن علماء الأزهر خلال الثورة العربية لم يلق جميعهم بجانب رجالات الثورة بل ان منهم من انضم الى الشديق توفيق ، ومنهم من لازم الحياد .

للتفاصيل انظر كتابنا الثورة العربية بحوث ودراسات وثائقية ص ٩٣ - ١١٢ تحت عنوان " موقف علماء الأزهر من الثورة العربية " .

عبد الحميد محمد البطريق

في بدايات هذا القرن وبالتحديد في السادس والعشرين من أغسطس ١٩٠٨م ولد عبد الحميد البطريق بالابراهيمية محافظة الشرقية في أسرة تنتمي إلى البرجوازية الريفيّة وهي الطبقة التي كانت ينتمي إليها معظم قادة النهضة الفكرية في مصر في أوائل القرن العشرين فولده كان تاجرا ومن كبار الملاك الزراعيين الذي تركزت املاكهم في الابراهيمية وأجداده تولوا عمدة بلبس من أيام محمد علي ..

ويعد أن تلقى عبد الحميد البطريق دراسته الأولية في الابراهيمية انتقل الى الزقازيق فأكمل بها دراسته الابتدائية والثانوية وهناك قابل رفيق صباه أحمد عزت عبد الكريم وتوطدت أواصر الصداقة بينهما . وبعد أن انتهى من دراسته الثانوية التحق بالجامعة المصرية حيث حصل على ليسانس الآداب من قسم التاريخ في عام ١٩٣٠ وعلى دبلوم معهد التربية العالي في عام ١٩٣٢ وبعدها التحق بوزارة المعارف حيث عين مدرسا بمدرسة فاروق الأول الثانوية .

ونظرا لأن التاريخ والكتابة التاريخية قد استهواه منذ مطلع شبابه فقد التحق بالدراسات العليا في الجامعة ، وحصل على الماجستير من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (القاهرة) في عام ١٩٤٣ وكانت رسالته بعنوان " محمد علي في بلاد العرب " ونالها بمرتبة الشرف الأولى ، وكانت من أولى الرسائل التي أشرف عليها المؤرخ محمد شفيق غريبال وسرعان ما لحن اسم عبد الحميد البطريق بصفته أحد الباحثين المصريين الجادين فأرسلته الجامعة في بعثة إلى بريطانيا لاستكمال دراسته وهناك تتلمذ على أيدي كبار المؤرخين الأوروبيين أمثال Dodwell ويرانارد لويس واستطاع الحصول على دكتوراه الفلسفة P.H.d من جامعة لندن في عام ١٩٤٧ وكان عنوان رسالته ARABIA under ottoman and Egyptian Rule 1810- 1841 .

وبعد عودته من البعثة في عام ١٩٤٨ عين الدكتور البطريق في كلية البنات بالزمالك ، وبعد أن انضمت هذه الكلية الى جامعة عين شمس عين أستاذا مساعدا في كلية البنات جامعة عين شمس واستمر في التخرج بالمناصب العلمية حتى وصل إلى درجة الاستاذية ، وإلى رئاسة قسم التاريخ بنفس الكلية .

ولم يقتصر نشاط الدكتور البطريق داخل أروقة الجامعة بل برزت له العديد من الأنشطة العلمية والمهام القومية خارجها فانتدب مديرا لتحرير مجلة الاذاعة في عام ١٩٥٢ ، وتولى رئاسة البعثة التعليمية بالملكة المتحدة ، وعمل مستشارا ثقافيا بسفارة مصر في لندن من عام ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٢ وهناك أعانه حسه التاريخي على أن يهتم اهتماما خاصا بتتبع المواقف الحاسمة في تاريخ أوروبا والتي ارتبط معظمها بمصائر الشعوب فكتب بعض الدراسات في التاريخ الأوربي نذكر منها " تاريخ أوروبا من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا^(١) " و " التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر^(٢) " (بالاشتراك) و " التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ - ١٩٦٠^(٣) " .

ومما يحمده للدكتور البطريق خلال فترة تواجده بالملكة المتحدة مساندته المستمرة لطلاب البعثات خاصة في فترة قطع العلاقات بين مصر وبريطانيا نتيجة للعدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ حيث ساند فكرة بقائهم حتى اتمام دراستهم حتى لا يتعرض مستقبلهم العلمي للخطر ، وكان المصري الوحيد الذي ظل يرضى مصالح مصر في لندن خلال فترة قطع العلاقات يضاف إلى ذلك قيامه بالقاء بعض المحاضرات عن مصر والعالم العربي بدعوة من بعض الجامعات الإنجليزية خاصة مانشستر ولينز وإيفريول .

ويعد عودة الدكتور البطريق من لندن في عام ١٩٦٢ انتدب مستشارا لسلسلة كتب اخترناك " كما أعانته أبحاثه الفاتكة للغات الأجنبية خاصة الإنجليزية على انتدابه لرئاسة تحرير مجلة أراب اوبزرفر Arab observer وفي عام ١٩٨٢ عين الدكتور البطريق أستاذا متفرغا للتاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة عين شمس واستمر في عطائه العلمي فاختر عضوا بالمجالس القومية المتخصصة " لجنة التاريخ والحضارة " وعضوا بالمجلس الأعلى للثقافة " لجنة التاريخ والآثار " وعضوا بلجنة التحكم لجائزة الدولة التشجيعية ، وعضوا باللجنة الدائمة لفحص الانتاج العلمي لترقية أساتذة الجامعات المصرية ، وعضوا باللجنة الدائمة لترقية أساتذة الأزهري .

١ - نشرته جامعة الرياض في عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢ - نشرته دار الفكر العربي .

٣ - نشره المركز العربي للبحث والنشر بالقاهرة في عام ١٩٨٠ .

يضاف إلى ذلك قيام الدكتور البطريق بالشاركة في تطوير الكتب التاريخية التي تقررها وزارة التربية والتعليم على طلابها فوضع بالاشتراك مع الدكتور عزت عبد الكريم والدكتور أبو الفتوح رضوان كتاباً عن تاريخ العرب في العصر الحديث لطلاب السنة الثالثة من التعليم الثانوي^١ كما شارك أيضاً في تأليف كتاب جديد في تاريخ مصر الحديث وكان جديداً بالفعل إذا قيس بكل الكتب المدرسية التي كتبت قبل تأليف هذا الكتاب^(٢) ومما يحسب له في هذا المجال أيضاً قيامه باستخدام طريقته المشروع في دراسة التاريخ وتدريب طلابه وطالباته بجامعة عين شمس على هذه الطريقة^(٣).

وحول اهتمام الدكتور البطريق بالوثائق المصرية ، فقد شارك في دعم المجلس الأعلى للوثائق التاريخية ، وقام في عام ١٩٦٤ ضمن لجنة مكونة من الدكتور أحمد عزت عبد الكريم والدكتور محمد حمدي البكري بتقييم مذكرات بعض زعماء مصر السياسيين خاصة محمد فريد وسعد زغلول ، فاطلع عليها وكتب تقييم لها قبل أن يطلع عليها أحد من الباحثين .

وللدكتور البطريق العديد من البحوث والملفات سواء في المنهج أو في تاريخ مصر أو العالم العربي أو الإسلامي ومن هذه الدراسات نذكر " المنهج والكتاب في توكريس التاريخ^(٤) " إبراهيم باشا في بلاد العرب^(٥) و " محمد علي ومشروع غزو العراق^(٦) " و " من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧ - ١٨٤٠ " و " الأمة العربية " ^(٧) و " الوهابية عقيدة ودولة^(٨) " و " إشراف المجاز في الوثائق المصرية ١٨١٣ - ١٨٤٠ " و " من التأميم إلى

١ - أبو الفتوح رضوان : التاريخ في مناهج الدراسة بمصر ص ١٤٢ .

٢ - يكلف الطلاب خلال استخدام هذه الطريقة باختيار موضوع للدراسة يدخل فيه التاريخ والجغرافيا كمحور للمناقشة والبحث .

٣ - صحيفة التربية العدد الرابع يوليو ١٩٥٠ .

٤ - من توكريس البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨ - ١٩٤٨ مجموعة أبحاث ودراسات لتاريخه للنشرها الجمعية التاريخية بمناسبة النقصاء مائة عام على وفاته ص ٣ - ٣١ .

٥ - مجلة كلية الآداب بالجامعة الأردنية ، المجلد الأول ، العدد الأول يناير ١٩٦٩ ص ٤٩ - ٦٠ .

٦ - نشره معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة في عام ١٩٦٩ .

٧ - نشرته دار المعارف

٨ - حواشي كلية البنات جامعة عين شمس يوليو ١٩٦٤ .

٩ - نشرته جامعة الرياض .

العنوان^(١) و " الجنوب العربى فى مطلع القرن التاسع عشر"^(٢) و "باكستان فى ماضيها وحاضرها"^(٣) و "وثائق الحكم المصرى فى الجزيرة العربية ١٨١٩ - ١٨٤١"^(٤) والوجود المصرى فى الخليج العربى وأثره فى السياسة البريطانية ١٨٣٦ - ١٨٤١"^(٥) .

هذا عن البحوث المنشورة بالعربية أما عن البحوث المنشورة بالانجليزية فنذكر :

- 1 - Egyptian - Yemeni Relations and their implications For British Policy in the Red sea .

(Published in Political and social change in Modern Egypt London 1968).

- 2 - Modern Egypt

(A historical synopsis) (1956)

ونتيجة للجهود العلمية التى بذلها الدكتور البطريق فقد لقي من تكريم الدولة ورجال الثقافة ما هو جدير به فقد كرمته الدولة حينما منحته وسام الاستحقاق من الطبقة الثالثة فى عام ١٩٥٤ وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى فى عام ١٩٦٨ وكان من مظاهر تكريمه أيضا حصوله فى عام ١٩٨١ على نوط الكلية الحربية الذهبى مع شهادة تقدير لأبحاثه العلمية .

١ - حوالية كلية البنات جامعة عين شمس .

٢ - نشر ضمن كتاب الموسم الثقافى لجامعة الرياض ١٩٧٤ .

٣ - سلسلة اختراعات .

٤ - ضمن نقود وثائق تاريخ العرب التى القتها سمنار جامعة عين شمس فى عام ١٩٧٧ .

٥ - وزارة الدفاع ، الكلية الحربية : تاريخ الجيش ١٩٨١ .

الدكتور محمد أحمد أنيس

١٩٢٩ - ١٩٨٩

المؤرخون نوعان نوع تصنعه الظروف ، ونوع يستطيع أن يصنع الظروف . النوع الأول يقتصر دوره داخل حدود الحرم الجامعي ، ولا يزيده فكره على مجرد معلومات موشومة بين دفتي كتبه . أما النوع الثاني فهو موهوب لديه ملكة النقد والفحص والاستقراء والأفق الواسع وكثيرا ما يسبق فكره عصره . والدكتور محمد أنيس من النوع الثاني فإنه كان مؤرخا يملك القدرة على إدراك المواقف ، ويحترم فكره ويصون نفسه عن الامتهان ، لا يدهان ولا يرائي ويصلي بسلامة الفكر وصواب الحكم وعمق الايمان بقضايا أمته ، وكان على استعداد لمواجهة أعنى التحديات والمخاطر في سبيل الدفاع عن حق يعتقد أو فكرة يؤمن بها . أو من أجل الدفاع عن مظلوم سلب حقه ، أو اعتدى على فكره دون يأس أو كلل أو استسلام يضاف الى ذلك أنه قاد مدرسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في عصر لا يقلمه وفكره فحسب وإنما بأعصابه وشرابيته حتى أخذت هذه المدرسة تدلوها ضمن المدرسة التاريخية المصرية .

وقد ولد الدكتور محمد أنيس في ١٩٢٩/٨/٢١ بشيخة الغريب قسم الدرب الأحمر أحد أحياء القاهرة الشعبية لأسرة من الحرفيين يعملون في بناء وترميم المساجد بمعنى أن أسرته لم تكن بعيدة عن شظف العيش (١) وأن كانت قد عرفت طريقها الى التعليم . وبعد أن أنهى محمد أنيس دراسته الابتدائية التحق بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية (٢) وخلال ذلك شارك في المظاهرات الكبيرة التي قامت احتجاجا على "تصريح هور" في عام ١٩٣٥ .

وبعد أن حصل أنيس على ليسانس الآداب من قسم التاريخ بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) في عام ١٩٤٣ ، وكان الأول على لفته أوفنته الجامعة في بحثه دراسية

١ - كانت أسرة الدكتور أنيس فقيرة من ناحية الأب وبقيرة من ناحية الأم والذي شجع الفرادها على مواصلة التعليم هو الشيخ علي الشهداوي خال غير شقيق لأم الدكتور محمد أنيس حيث كرس وقته لتنظيم افراد الأسرة للتفاسيل : انظر تعليق الدكتور عبد العظيم أنيس في تكريم محمد أنيس للواجهة : الكتاب السابع صيف ١٩٨٨ ص ١١٩ .

٢ - اسمها حاليا الصينية الثانوية .

إلى لندن لدراسة التاريخ الحديث وهناك احثك بالمجتمع الانجليزي عن قرب وشاهد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها الحرب العالمية الثانية في بريطانيا ، ووصول حزب العمال الى قمة السلطة في عام ١٩٤٥ بما يحمله من مبادئ وأفكار اشتراكية ، وتطلع الانجليز إلى تغييرات اجتماعية جذرية ، وبرز الاتحاد السوفيتي والعسكر الاشتراكي كقوة ذات تأثير على مجريات الأحداث العالمية .

يضاف إلى ذلك مشاركته في الحلقات الثقافية حول مناهج البحث وفلسفة التاريخ والمدارس المختلفة التي لعبت دورا في تفسيره^(١) كل ذلك جعل أنيس يفتح على الفكر الاشتراكي ويقرأ فيه بنهم وحب شديدين .

وخلال ذلك تمكن محمد أنيس من الحصول على درجة الدكتوراه ، من جامعة برمنجهام في مايو ١٩٥٠ ، وكان موضوع رسالته يدور حول الصراع على البحر الأحمر كطريق للمواصلات في القرن الثامن عشر

The Development of the British interests in the Late 18 th century.

وبعد أن أتم الدكتور أنيس رسالته عاد الى مصر ليعمل مدرسا للتاريخ الحديث بجامعة القاهرة ، وفي خلال ذلك اثبتت عقليته الواعية المنفتحة وحسه التاريخي المرفف القدرة على التمييز بين ما يدور حوله ، كما استطاع بقله ملاحظته وحرية فكره أن يخطي الحواجز ، ويعالج الكثير من الأمور التي كانت تعد محظورة في ذلك الوقت ، ففي الخمسينات من هذا القرن حينما كانت مصر تنتقل من العصر الملكي إلى العصر الجمهوري ، وكان كل صاحب رأى يعد خطراً في نظر السلطة كانت محاضرات الدكتور أنيس الجريئة بالجامعة تطرح القضايا الشائكة التي كانت تجول بخواطر الطلاب حول الماضي والحاضر والمستقبل والعلاقة بين الوطنية والحرية والسيادة والاستقلال ، وعلاقة مصر بالعالم العربي بصفتها مركز الثقل في المنطقة العربية ، وكان

١ - د. علي بركات : التاريخ وقضايا النهج في مصر المعاصرة - قضايا فكرية ١٩٩٢ ص ٨٢ . وقد استقى المعلومات القاسية بالأسول الاجتماعية لـ محمد أنيس عن طريق لقائه بالدكتور عبد العظيم أنيس ومناقشته في هذا الموضوع .

الدكتور أنيس يطرح الأسئلة التي تبحث عن إجابات ليشحذ همم طلابه ، ويستثير نفوسهم ، ويدفعهم الى التفكير من أجل البحث معه عن الحقيقة ، ثم يقوم بمناقشة ما طرحه من أسئلة من جميع نواحيها في لغة سهلة يسيرة تتميز بعفوية الحركات وحسن الاستطراد وبساطة الطرفة والجمع بين القدرة على تمثيل الحقائق التاريخية والأسلوب الذي يقضي الى تفهم هذه الحقائق . وبعد أن يضع الدكتور أنيس النقاط على الحروف يخرج طلابه من قاعات الدرس وهم يشعرون أنهم أصبحوا أقدر على فهم وتفسير الأحداث التي تلاحق بهم لذلك أحبه طلابه وقدروا فيه فكره ومقدرته بدقة ملاحظته وصفاء ذهنه واتساع خياله وإدراكه للمواقف هذا فضلا عن روحه المرحية .

وحين تعرض الدكتور أنيس لمضايقات السلطة التي كانت تلاحقه ، وتمهد لفصله من الجامعة في عام ١٩٥٤ أضرب تلاميذه في قسم التاريخ عن الدراسة دفاعا عن أستاذهم واحتجاجا على ما يحاك ضده ، ونتيجة لإلحاح طلابه عاد إلى قاعة الدرس ليلقى محاضراته ، ويرفع عاليا راية القيم الجامعية الحقبة^(١) .

وحين وقع العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ وكانت الجامعة لا تزال مفتوحة ، والطلاب ينتظرون محاضرة أستاذهم ، دخل الدكتور أنيس قاعة المحاضرة ولم يقل خير كلمات محفوفة " ليس الآن وقت الكلام ، وإنما هو وقت النضال ، وليس عندي ما أقوله سوى دعوتكم جميعا للخروج في هذه اللحظة ، والانضمام الى مراكز التريب " .

وهكذا خرج الطلاب يبحثون عن تلك المراكز التي كان يجري اعدادها على عجل^(٢) .

لقد أحب الدكتور أنيس مصر وعشق تاريخها ، فعبر بقلعه وفكره عن قضايا وطنه، ووجه درس التاريخ الاجتماعي والاقتصادي - وبخاصة بعد وصوله إلى كرسي استاذية التاريخ في جامعة القاهرة - وهو الدرس الذي يرى أن المحرك الأول لتسيير التاريخ هو الشعب ومن هنا حاول ربط الحركة التاريخية في مصر بإبراز دور المقاومة الشعبية ، ورد اعتبار الشعب المصري وسيرته في صنع الأحداث ، ومقاومة الوطنيين للنقوذ

١ - الأخبار في ١٩٨٦/٩/٧ مقال للأستاذ زكي تحت عنوان " له والتاريخ " .

٢ - الأهرام في ١٩٨٦/٩/٧ مقال للدكتور عادل الغنيم تحت عنوان " محمد أنيس .. المورخ الوطني الذي فقدناه " .

الاستعماري بكافة أشكاله ، وإبراز دور الحركات الوطنية في مواجهة الاحتلال ، كما تصدى لروح المدرسة الاستعمارية التي ترى أن استمرار حركة التغريب هي الطريقة المثلى للحاق الشرق بالغرب ، وأن مواكبة الغرب والتبعية له ضرورة حيوية لإنقاذ الشرق من براثن التخلف .

وانطلاقاً من ذلك وجه الدكتور أنيس تلاميذه في الدراسات العليا إلى التركيز على دراسة الحركات الوطنية في مصر ، وثورات التحرر في العالم العربي ، ودراسة القوى الاجتماعية ، ودورها في مواجهة الاستعمار والمتمثلة في الحركات العمالية والطلابية والفلاحية وطبقة المثقفين ، وقد خرجت على يديه عشرات الرسائل في هذا المجال نذكر منها رسالتى الدكتور عبد العظيم رمضان للماجستير والدكتوراء " تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ إلى ١٩٣٦ " و " تطور الحركة الوطنية في مصر من إبرام معاهدة ١٩٣٦ إلى بداية الحرب العالمية الثانية " ورسالة الدكتور على بركات للدكتوراء " تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره على الحركة السياسية ١٨٤٦ - ١٩١٤ " ورسالة الدكتور مصطفى النحاس جبر للماجستير " سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦-١٩١٤ ورسالة الدكتورة نوال راضى للماجستير " الحركة العمالية وأثرها في تطور التاريخ السياسي في مصر ١٨٩٩ - ١٩٣٠ " ورسالة الدكتور عبد المنعم الجميلى للماجستير " الخديو عباس الثانى والحزب الوطنى " ورسالتى الدكتور عادل غنيم للماجستير والدكتوراء " الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ و " الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب الثانية " ورسالة الدكتور إسماعيل يافى للماجستير " حركة رشيد عللى الكيلانى " ورسالتى الدكتور عبدالأمير المكالم للماجستير والدكتوراء " تاريخ حزب الاستقلال العراقى ١٩٤٦ - ١٩٥٨ " و " الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٣ " ورسالة عبدالله جندى أيوب للماجستير " كفاح الأمير عبد القادر الجزائري ضد الفرنسيين في الجزائر " ورسالة أحمد حسنى الدجاني للماجستير " نشأة الحركة السنوسية ونموها في القرن التاسع عشر " ورسالة عبد الفتاح أبو عليه للماجستير " الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ - ١٨٩١ " ورسالة خيرية قاسمية للماجستير " الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨ - ١٩٢٠ " وأغلب الظن أن فترة

طويلة ستتمشى حتى يمكن دراسة المجالات التي دعا إليها الدكتور أنيس وفتح أبوابها ومد آفاقها خاصة وأنه كان يخوض لغمار الأفكار الصعبة ولا يقتنع باليسير الهين دون أن يكل عزمه أو يفتر إزاء ما يلقى من صعاب .

قد يقول البعض إن دراسة الحركات الوطنية وحركات التحرر تنسم في بعض الأحيان بالحماسه وتدفق العواطف القومية مما يكون له اثره على موضوعيه الباحث^(١) وقد يقول بعض آخر أن تأثير القومية في الدراسات التاريخية تقترب بالباحث من الذاتية على حساب الحقيقة العلمية. ومع تسليمنا بكل ذلك فإنه يمكن القول إن الدراسات التي قام بها الدكتور أنيس أو أشرف عليها كانت في جلها تخاطب العقل وتعتمد على الوثائق والمصادر الأصلية التي تعد المادة الأساسية لكتابة التاريخ . وإنها أسهمت بصورة واضحة في غرس وطنية مستتيرة وفي تغذية الشعور الوطني لدى المصريين، وفي إحياء ماضيهم الوطني بكل عناصره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ومن أبرز القضايا التي تجشم الدكتور أنيس المتاعب من أجل تحقيقها قضية المحافظة على الوثائق المصرية ودراستها والبحث عن المغمور منها وقد تمكن من تحقيق ما يلي :

أولا : استصدار قوانين تمنع تسرب الوثائق المصرية الى الخارج .

ثانيا : تأسيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر^(٢) بهدف تجميع وثائق التاريخ المصري المعاصر من مختلف الجهات والشخصيات وإتاحة الفرص للباحثين من داخل المركز وخارجه للاستفادة بها في أعداد دراساتهم وقد تمكن هذا

١ - أن تأثير القومية على كتابات المؤرخين الألمان والفرنسيين كان كبيرا وقد ظهر ذلك خلال حركة بحث بروسيا وما تبعه من رواج فكرة سمو الجنس الأري بالنسبة للألمان . وخلال الثورة الفرنسية وتعبيد البعض لها بدرجة أخرجت كتاباتهم عن الموضوعية بالنسبة للفرنسيين .

٢ - أنشئ هذا المركز بقرار وزاري في ١٩٦٤/٧/٢٥ باسم مركز دراسات التاريخ القومي . وكان يتبع مصلحة الاستعلامات التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد القومي في ذلك الوقت ثم خسم إلى دار الكتب والوثائق القومية في عام ١٩٦٦ . وفي عام ١٩٦٧ تم تعديل اسم المركز إلى مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر . وصار تابعا لوزارة الثقافة . وفي عام ١٩٧١ أصبح المركز واحدا من المراكز العلمية التي يضمها قطاع النشر والمراكز العلمية بالهيئة العامة للكتاب

المركز خلال إشراف الدكتور محمد أنيس عليه في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٥ من جمع شتات الوثائق المتعلقة بعصر الملك فؤاد وورثيتها وفهرستها ، ولعل أهمها تقارير الأمن والمراسلات بين البلاط الملكي وغيره من الجهات في الخارج والداخل هذا بالإضافة إلى تسجيل ما لدى السياسيين القدامى من معلومات مثل ذكريات عبد الفتاح عنایت الذي كان مشتركاً في إحدى خلايا الجهاز السري أثناء ثورة ١٩١٩ وعبد العزيز علي الذي لعب دوراً في نفس الثورة ، وذكريات بعض الشهود العيان الذين عاشوا أحداث حركة اللواء الأبيض بالسودان في عام ١٩٢٤ .

وقد قطع هذا الاتجاه شوطاً طويلاً غير أن هذا المركز أخذ يتعرض بعد وفاة الرئيس عبد الناصر ، وبروز دعوة إعادة كتابة تاريخ مصر الحديث عن طريق لجنة رسمية يتم تكليفها من قبل الدولة ويكون لها القول الفصل والحكم القاطع فيما تكتبه.

أما عن مؤلفات الدكتور أنيس وأثره العلمية فقد كانت تعبر أصداق تعبير عن إيمانه بقدرات الشعب المصري الخلاقة ، ومحارلاته المستمرة للوقوف ضد ظالميه ومغتصبى حقوقه فمن يقرأ دراساته وأبحاثه في تاريخ مصر الحديث والمعاصر يجد فيها (بانوراما) لإنتاجه الفكري الذي يرقى فوق أسلوب سرد الحوادث والوقائع ويتميز بالأصالة ، ويقوم على الدراسات الملهوومة التي تشاطب العقل ، وتتغزل في حب مصر والدفاع عن حقوقها بطريقة محببة للعقل والنفس معا ويشعر بأنه يقرأ لمؤرخ قادر على توصيل الحدث ونقله بطريقة صحيحة مؤثرة وكأنه يعيش في العصر الذي يتحدث عنه وكأنَّ الحدث يتمثل أمامه .

لقد ظل الدكتور أنيس في كتاباته يدعو إلى نفس تراب النسيان الذي تراكم على صفحات الكفاح الوطني سعياً وراء الأسرار والشفافيا المجهولة ، ويحث عن التراث الفكري والحضارى في أحشاء التاريخ كما أنه طرق باباً جديداً للوصول إلى ما هو غير متاح في الكتب والوثائق المستهلكة الا وهو الحصول على مذكرات السياسيين الذين شاركوا في الأحداث ثم دراستها واستخلاص ما بها من أسرار وأخبار والربط بينها وبين شتات المنقرقات التاريخية والحقائق المضطربة المتنازعة بحثاً عن الحقيقة الواضحة الأركان وقد نجح في ذلك إلى حد كبير .

ومع أن اهتمامات الدكتور أنيس تركّزت في دراسة تاريخ مصر المعاصر والبحث في دعاليز هذا التاريخ بحثاً عن شخصياته المحركة فإنه لم يقلل أيضاً دراسة الحكم العثماني للوطن العربي وأثره .

وتناول الدكتور أنيس في كتاباته التاريخ الأوربي في محاولة منه لإبراز أهمية التفسير الاقتصادي في فترة انتقال أوروبا إلى العصر الحديث .

وفيما يخص تاريخ مصر المعاصر أصدر الدكتور أنيس كتاباً بمناسبة اشتراك مصر في مؤتمر بانثونج في عام ١٩٥٥ وكان عنوانه " المؤتمر الآسيوي الأفريقي " أوضح فيه أسباب انتهاء مصر لسياسة الحياد الإيجابي والتعايش السلمي . وفي عام ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة بين مصر وسورية أصدر الدكتور أنيس كتاباً بعنوان " دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية " أوضح فيه أن الوحدة العربية هي السبيل الأمثل لحركة النضال الوطني في العالم العربي ، وأن مصر قلب العروبة النابض ورائدة الكفاح ضد الاستعمار ستظل مركز الثقل في العالم العربي .

وفي عام ١٩٦٢ أصدر الدكتور أنيس كتاباً تحت عنوان " صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل " انفرد فيه بنشر رسائل جديدة لمصطفى كامل كان قد كتبها في الفترة من ٨ يونيو ١٨٩٥ إلى ١٩ فبراير ١٨٩٦ وتوضح معظمها علاقته بالخديو هذه الفترة المبكرة من حياته الوطنية وأثناء دراسته للعقود في فرنسا .

وقد أبرزت هذه الدراسة صفحة جديدة من حياة مصطفى كامل حرصت مدرسة الحزب الوطني على التكتّم عليها وهي أن الخديوية هي التي كانت تتفق على رحلة مصطفى كامل في أوروبا عام ١٨٩٥ .

وفي عام ١٩٦٣ نشر كتابه " دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ " وهو يحوى المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي السكرتير العام للجنة الوفد المركزية وهي توضح العديد من النقاط الغامضة خلال اشتعال الثورة ودور عبد الرحمن فهمي في ضم العمال خلال الثورة ، ويشكل أزاح الستار عن جوانب هامة من نضال الوفد الذي سعى لتحقيق استقلال مصر بكافة الطرق والسبل العلنية والسرية معاً .

وفي عام ١٩٧٢ نشر كتابه " ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي " وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها في الأهرام في عام ١٩٦٧ وتتمثل قيمة هذا الكتاب في أن صاحبه فتح للمؤرخين باباً جديداً باعتماده على الوثائق البريطانية في تحديد مسئولية الوفد في هذه الحادثة وروبطه للأحداث في إطارها الدولي ، وبحكم فكره التقدمي استطاع أن يثبت أن الأمر يرجع إلى رغبة بريطانيا في الاستناد إلى قوة شعبية ممثلة في حزب الوفد ، وهذه الرغبة دفعتها إلى ما حدث وهذا يؤكد في النهاية نفي المزاعم التي تردت حول عمالة النحاس للإنجليز وتورطه في الأمر .

وفي عام ١٩٧٢ أيضاً صدر له كتاب بعنوان " حريق القاهرة ٢٦ يناير على ضوء وثائق تنشر لأول مرة " وهو عبارة عن مقالات كان قد نشرها بالأهرام في عام ١٩٦٩ وقد حصر فيه مسئولية حريق القاهرة في المخابرات البريطانية والقصر الملكي .

وفي عام ١٩٧٣ نشر أوراق حسن باشا نشأت تحت عنوان " صفحات مجهولة من التاريخ المصري أو سنوات الصراع العنيف بين عباس وفؤاد " وقد تعرض فيه للدور الذي لعبه الملك فؤاد لمنع التغيير عباس من العودة إلى مصر .

وفي عام ١٩٨٤ نشر الدكتور محمد أنيس مجموعة محاضراته التي كان قد ألقاها على طلاب المعهد العالي للدراسات الاشتراكية في عام ١٩٦٥ في كتاب تحت عنوان " تطور المجتمع المصري من الانقطاع إلى ثورة ٢٣ يوليو " .

هذا عما كتبه الدكتور أنيس في تاريخ مصر المعاصر وأما فيما يخص التاريخ العثماني فقد تعرض في كتابه الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ - ١٩١٤ " لمسئولية الدولة العثمانية عن تخلف العالم العربي ، وكان ممن يرون أن النظام العثماني نظام أقطاعي ، وأن العثمانيين سيطروا على العالم العربي بقوة السلاح ، وأنهم جنس غريب عن العرب ، ولم يفكروا قط في العمل لمصلحة العرب .

كما كتب الدكتور أنيس دراسة بعنوان " مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني " ^(١) تعرض فيه لكتابات المؤرخين المصريين خلال هذه الفترة ، وناقش

١ - نشر معهد الدراسات العربية العالمية هذه الدراسة في عام ١٩٦٢ .

محتويات هذه الكتابات والمدارس التي ينتمي إليها أصحابها . وإلى جانب ذلك نجد له ثلاث دراسات عن المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الذي عاصر أجزاء من تاريخ مصر العثمانية وهي " الجبرتي بين مظهر التقديس ومجانب الآثار ^(١) " وحقائق جديدة عن عبد الرحمن الجبرتي مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية ^(٢) " وقد اعتمد فيها على عدد من الوثائق المحفوظة بغير خانة المحكمة الشرعية بالقاهرة ^(٣) و " الجبرتي ومكانته في مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني ^(٤) " وقد تعرض فيه لأهم مصادر تاريخ مصر العثمانية ، وأسباب تدهور التأليف التاريخي في العصر العثماني وقد قسم المؤرخين في هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام وهي :

مدرسة المؤرخين التقليديين ، ومدرسة التراجع ، ومدرسة الأجداد . ثم بدأ يوضح مميزات الجبرتي على غيره من المؤرخين ، وكيف كتب مؤلفاته ، وأهمية هذه المؤلفات في ميزان التاريخ .

وأما عن كتابات الدكتور أنيس في التاريخ الأديبي فقد ركز فيها على أثر التاريخ الاقتصادي في انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى الحديث ففي كتابه الذي ألفه بالاشتراك مع الدكتور سعيد عاشور تحت عنوان النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديث " انفراد بدراسة تحت عنوان " النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر " وفيها تعرض لصرامة نظام الطبقات في أوروبا العصور الوسطى بحيث أخشى الإنسان معه خاضعاً في كل نواحي حياته المهمة لتجموعه شخمة من العادات والتقاليد الموروثة داخل طبقته حتى إذا ما ظهرت النهضة أخذت حواجز التقاليد المتينة في الانهيار ^(٥) .

- ١ - نشرت هذه الدراسة في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ١٨ ج١ مايو ١٩٥٦ .
- ٢ - نشرت هذه الدراسة في المجلة التاريخية المصرية المجلدان التاسع والعاشر ٦٠ - ١٩٦٢ ص ١١٥-١١٩ .
- ٣ - استأخاف الدكتور أنيس في هذه الدراسة إضافة بعض المعلومات الجديدة بالنسبة للجبرتي وأسرته ، وأن يثبت بالقطع أن عبد الرحمن الجبرتي تولى في عام ١٢٤٠هـ/ ١٤ مايو ١٨٢٥ وليس كما يذكر البعض أنه تولى في رمضان ١٢٣٧هـ- يونيو ١٨٢٢ .
- ٤ - عبد الرحمن الجبرتي - دراسات وبحوث ١٠ لقاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ص ٩٥ - ١٢٠ .
- ٥ - انظر الفصل الرابع من الكتاب ص ٢٢٩ - ٣١٢ .

وفى كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع الدكتور محمد فؤاد شكرى تحت عنوان " أوروبا فى العصور الحديثة من النهضة الإيطالية حتى الثورة الفرنسية " (١) حاول ربط التكوين السياسى لأوروبا الحديثة بانتعاش النشاط التجارى بها فى أعقاب الحروب الصليبية ، ويظهر الطبقة الوسطى الذى لعب دورا مهما فى هدم النظام الإقطاعى والقيام بعملية الكشف الجغرافية وحركة الإصلاح الدينى .

وفى كتابه الذى نشره فى عام ١٩٧٨ تحت عنوان " تاريخ أوروبا بين الحربين العالميتين " تعرض فى جزء كبير منه للثورة الروسية الكبرى فى عام ١٩١٧ وسيطرة البلاشفة على الحكم وظهور الاتحاد السوفيتى ، وطريقة بناء الدولة السوفيتية (٢) .

وفى مجال دراسة الوثائق شارك الدكتور أنيس فى كتاب تحت عنوان " نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر " وقد اختار الفترة المعاصرة التى تبدأ بإعلان الحماية حتى مشروع تمويل السد العالى فى عام ١٩٥٨ وذلك بغرض توعية الطلاب بقضايا بلادهم (٣) .

وهكذا يتضح لكل من يتصفح مؤلفات الدكتور أنيس بعناية أنه لم يركز اهتمامه على الأحداث السياسية والوقائع الحربية التى كان ينصرف إليها أغلب اهتمامات مؤرخى عصره بل اهتم بإبراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها من مظاهر الحياة الانسانية ، فكان حكمه على الأحداث شاملا ومتزنا ، وكانت طريقته فى هذا المجال نبراسا يحتذى به . هذا إلى جانب الابتعاد عن السرد التاريخى والاهتمام بالجانب التحليلي ، الكشف عن كل ما هو جديد من الوثائق وتقديمها .

ومن المعروف أن آراء الدكتور أنيس لم تقتصر على كتبه فحسب بل هناك مقالاته التاريخية والسياسية العديدة فى الصحف والمجلات وهى تحمل اشعارات فكره ، ولو انها جمعت لشكلت تراثا هاما ومن هذه المقالات نذكر :

١ - نشر بالقاهرة فى عام ١٩٦١ .

٢ - انظر صفحات الكتاب من ص ١٠٠ إلى ١٥٢ .

٣ - عاصم نسوقى : محمد أنيس ونوره فى تحليل دراسة التاريخ بالجامعة المصرية . المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٤ .

أولاً : المقالات التاريخية :

للدكتور أنيس دراسات تاريخية مهمة في الصحف والمجلات المصرية والعربية نذكر منها :

* وثائق الثورة العربية * التي نشرت في مجلة الكاتب على حلقات^(١) ، و "الصراع بين الخليفة والورث"^(٢) * (محمد فريد وعلى فهمي كامل) و " الحزب الجمهوري ١٩٠٧ - ١٩٠٨"^(٣) ، و " سعد زقلول وخمير الأمة المصرية"^(٤) ، و " الأوراق الخاصة للورد كيلرن - السنة الأولى للمنوب السامي"^(٥) ، والنحاس ومعاهدة ١٩٣٦"^(٦) ، وحادث ٤ فبراير ١٩٤٢"^(٧) ، وحريق القاهرة^(٨) ، ولماذا سمح الانجليز للملك فاروق بإقالة حكومة الوفد بعد الحرب الثانية^(٩) ، و ٢١ فبراير في التاريخ المصري^(١٠) * و " أزمة الحركة الوطنية ابان الحرب العالمية الأولى"^(١١) ، والاحتلال البريطاني والحركة الوطنية - مؤامرة شبها ١٩١٢ (١٢) " و شفيق غريمال ومدرسة التاريخ المصري الحديث^(١٢) .

وتكمن أهمية هذه الدراسات في أن صاحبها يعد من المؤرخين المصريين القلائل الذي بذلوا جهداً كبيراً في خدمة تاريخ مصر المعاصر والكاتب فيه من خلال وثائقه .

١ - الكاتب أعداد يونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر ١٩٦٩ .

٢ - الأهرام في ١٩٧٢/٨/٣ .

٣ - الكاتب ديسمبر ١٩٦٩ .

٤ - الهلال أغسطس ١٩٨٤ ص ٩٠ - ٩٧ .

٥ - الأهرام في ١٩٧٢/٣/٥ .

٦ - الأهرام في ١٩٧٢/٣/٨ .

٧ - نشرها الأهرام على حلقات في عام ١٩٦٧ .

٨ - نشرها الأهرام على حلقات في عام ١٩٦٩ .

٩ - الأهرام في ١٩٧٢/١١/١٣ .

١٠ - روز اليوسف في ١٩٧٢/٢/٢١ .

١١ - الأهرام في ١٩٧٢/٦/١٦ .

١٢ - الأهرام في ١٩٧٢/٥/٢٦ .

١٣ - المجلة العدد ٨٨ في نوفمبر ١٩٦١ .

ثانيا : المقالات السياسية

وحول المقالات السياسية التي كتبها الدكتور أنيس في الصحف والمجلات المصرية والعربية فهي عدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر "العنوان الامبريالي والثورة الاجتماعية"^(١) و"الوحدة الوطنية الفلسطينية"^(٢) و"ثورة على ضفاف النيل"^(٣) و"مسئولية الشعب بعد عيد الناصر"^(٤) و"الابعاد التاريخية لمعركة الصمود الراهنة"^(٥) و"إسرائيل - هل اقترنت نهاية بن جوريون"^(٦) و"شئون عربية" حقيقة إلغاء القاعدة الامريكية بالظهران"^(٧) و"الثورة الدائمة"^(٨)

وهكذا جعل الدكتور أنيس من تاريخ مصر قضية جماهيرية وعامة يشارك فيها كافة أبناء الشعب هذا عن نشاط الدكتور أنيس داخل مصر ، أما خارجها فقد عمل استاذاً بجامعة الجزائر والعراق واليمن الشمالية ، كما عمل مستشاراً ثقافياً لامارة أبوظبي وخلال ذلك قدم أثراً واضحة للعيان سواء بالاسهام في انشاء قسم من اقسام التاريخ أو اصدار مجلة علمية أو كتابة بعض المقالات التاريخية في الصحف .

ومما سبق يتضح أن التاريخ عند الدكتور أنيس لا يعدو أن يكون محاولة للإجابة عن بعض المشكلات التي تواجه مصر لذلك كانت طريقته في المعالجة هي تحديد المشكلة ثم محاولة إيجاد الحلول لها بطريقة تتميز بالاصالة والعمق .

١ - الكاتب في أكتوبر ١٩٦٧ .

٢ - الكاتب في ابريل ١٩٧٠ .

٣ - الكاتب في يوليو ١٩٦٩ .

٤ - الكاتب في نوفمبر ١٩٧٠ .

٥ - الجمهورية في ١٨ ابريل ١٩٦٨ .

٦ - الأهرام في ١٥ مارس ١٩٦١ .

٧ - الأهرام في ٢٣ مارس ١٩٦١ .

٨ - الكاتب في مايو ١٩٧٣

وقد فكر الدكتور أنيس في أواخر أيامه في تجميع هذه المقالات في كتاب كبير حتى لا يظروها النسيان ولكن وفاته المفاجئة حالت دون ذلك .

ان مشكلة الدكتور أنيس أنه عاش في عصر شديد التعقيد على التحديات ، عصر تفتت فيه الأتانية ، وأنعدم فيه الولاء والاخلاص فمع أنه عاش مرحلة انتقال مصر من الملكية الى الجمهورية وعاصر فترة الناصرية بما لها وما عليها فإنه تعذب بأخطائها . ومع أنه احترم أفكار رجالات الثورة فإنه لم يسترح إلى كثير ممن تسبوا أنفسهم اليها . ومع أنه تعرض للكثير من العنت وسوء الفهم حتى من جانب بعض المقربين اليه فإنه كان يتميز بالسماحة وصفاء القلب ، وكان رد على هؤلاء هو الابتسامه وفتح ابواب الحوار لإزالة أى خلافات دون مجاملة فى الحق أو فى موقف يعتقد.

لقد صوره اعدائه وبعض من لا يعرفونه جيدا كرجل مشاكس يعيل الى اختلاق المشاكل ولكن الواقع انه كان صاحب شخصية متميزة لها طابعها الخاص ، وصاحب ارادة قوية لا تتبدل ولا تتغير باختلاف الظروف والأحوال كما أنه كان صاحب نفس كبيرة . ووطنية مثاقفه دافقة وحب بارز لتاريخ مصر خاصة الحديث منه والمعاصر .

لقد كان الدكتور أنيس يكره الظلم ومحاولات قهر الإنسان ولم يكن يداهن أو يراثنى بل كان كالمراه الصافية متواضعا لا يضيق صدره أو يتقبض قلبه من مزاح ومع غزارة علمه لم يكن يدعى المعرفة بكل شيء فاذا التبس عليه أمر من الأمور لم يجد غشاضه فى أن يحيل سائليه الى المصادر التى يمكن من طريقها التحقق من المعلومة التى يريد.

وقد زاد من محبة الطلاب للدكتور أنيس انه كان يجعل بين جنبيه قلبا كبيرا مفعما بالحب والاخلاص ، وكان إنسانا عطوفا يحس باحساسهم ويتألم لآلامهم ، ويتأثر بمشكلاتهم ومحنهم وأذكر أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ واستمرار اعتداءات اسرائيل على مدن القناة ، واضطرار الحكومة المصرية الى تهجير أهالى القنال إلى داخل البلاد علم الدكتور أنيس أن أسرة أحد تلاميذه كانت ضمن المهجرين ، وأنها تعيش فى إحدى الخيام المعدة لذلك فأسرع بشراء بعض الهدايا لأطفال هذه الأسرة وأخذ يبحث عنها وسط خيام المهجرين بالقاهرة ، حتى قابل عائلها ، وكانت لسات أنيس العطفة ذات أثر جميل فى نفس هذه الأسرة فقد خففت عنها لومة ما هى فيه ، وأظهرت لها أن الدنيا ما تزال بخير .

لقد ترك الدكتور أنيس فراغا كبيرا في قلوب تلاميذه وأصدقائه ومقديري علمه ، كما ترك فراغا كبيرا في ميدان الدراسات التاريخية والبحث العلمي ، وانه ليعز علينا أن يختفى هذا الكوكب اللمع الذي لم تهانده الأيام بصروفها وتوانبها ، ومع ذلك ظل منافحاً عن الحق في شدة ، مجاملاً في عزة ، وودياً في رقة ، وتشير أحاديثه العجب والإعجاب والدعشة والتساؤل فكان بذلك من الألفاذ الذين شقوا طريقهم بفكرهم وتركوا بصماتهم الواضحة في ميدان الحركة التاريخية المصرية وإلى جانب ذلك كان قلمه في يده " كالمبضع في يد الجراح الماهر لا يشق إلا بتقدير ولا يقطع إلا بقدر " ، وإننى أخبط نفسي إذ عاصرته وتعلمت عليه ولأزمته .

الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

يقول عنه بعض تلاميذه والدارسين عليه أنه فتح آفاق المعرفة والقراءات الأوربية من خلال الإيضاحات وأنه يتميز بالقدرة الفذة على صياغة أكبر الأفكار بأبسط وأدق الالفاظ وأنه يتمتع بالنظرة الشاملة في تحليل الحدث ولا ينغلق داخل رؤية محددة ضيقة^(١) وأنه ترك حرية رؤية التفسير لتلاميذه ووجههم إلى تجنب التحيز العاطفي للزعاء وأخفاء حالات البطولة والتعديس عليهم .

ولد أحمد عبد الرحيم في أسرة ريفية متوسطة الحال بسوهاج في ١٩٢٥/١١/٢٨ فكان جده يعمل بالزراعة ، وكان والده في بداية حياته العملية موظفا بشركة للسجائر ثم ترك وظيفته واشتغل بالأعمال التجارية البسيطة^(٢) .

وبعد أن أنهى أحمد عبد الرحيم دراسته الجامعية عمل مدرسا بالمدرسة الثانوية في سوهاج ثم عين معيدا بجامعة ابراهيم باشا (عين شمس) في عام ١٩٥١ وخلال ذلك سجل رسالته للماجستير في جامعة فؤاد الأول تحت عنوان " علاقات مصر بتركيا في عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩"^(٣) وكان تحت اشراف الدكتور محمد فؤاد شكرى في بداية الأمر ثم انتقل الاشراف إلى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بعد ذلك .

وبعد حصول أحمد عبد الرحيم على الماجستير في عام ١٩٥١ سجل بحث للدكتوراه أول الأمر في كلية الآداب جامعة عين شمس عن المسألة المصرية من عام ١٨٧٩ إلى عام ١٨٨٢ ثم حصل على إجازة دراسية في عام ١٩٥٢ إلى لندن وباريس للاطلاع على الوثائق المودعة بنور المحفوظات في كل منهما وخلال ذلك سجل بحثه في جامعة لندن تحت عنوان شئون مصر الداخلية والخارجية ١٨٧٦ - ١٨٨٢^(٤) .

The Domestic and Foreign Affairs of Egypt 1876 to 1882

وكان ذلك تحت اشراف الاستاذ هارولد بون Harold Bowen وبعد أن حصل

- ١ - ضمن حديث مع د. أحمد زكريا في قسم التاريخ بأداب عين شمس في ١٩٩٢/١/٣١ .
- ٢ - ضمن لقاء لي مع الدكتور أحمد عبد الرحيم في قسم التاريخ بأداب عين شمس في ديسمبر ١٩٩٢ .
- ٣ - نشرت دار المعارف هذه الدراسة في عام ١٩٦٧ .
- ٤ - نشرت دار المعارف هذه الدراسة عام ١٩٦٢ بعد قيام المؤلف بعمل بعض التعديلات الخفيفة عليها تحت عنوان " مصر والمسألة المصرية من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٨٨٢ " .

أحمد عبد الرحيم على الدكتوراه عين مدرسا بأزاد عين شمس في عام ١٩٥٦ وتدرج في سلك الدرجات العلمية حتى وصل الي الأستاذية في عام ١٩٦٨ .

والدكتور أحمد عبد الرحيم مؤلفات عديدة نذكر منها:

١ - علاقات مصر بتركيا في عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٢ - ١٨٧٩ وفيها قسّم العلاقات بين مصر والياب العالي إلى أربعة أقسام وهي مجهودات اسماعيل لتوطيد حكمه وحكم من يخلفه على أسس شرعية ، والخدمات التي قدمها اسماعيل للدولة العثمانية ، ومحاولات إسماعيل الجادة لتوسيع استقلال مصر الذاتي حتى نجح في الحصول على لقب خديو ، وعقد بعض الاتفاقات مع دول أوروبا ، ثم فترة الأزمات بينه وبين الباب العالي والتي حاول اسماعيل خلالها تجنب الصدام الشديد مع الاستانة حتى يتمكن من وقف الخطر الانجليزى الفرنسى الداهم على مصر وانتهاء الأمر بخلفه بناء على الحاج الانجليز والفرنسيين على السلطان العثماني .

ومع أن هذه الدراسة قد غطت فترة من أهم فترات التاريخ المصرى بشكل اعتمد فيه صاحبها على مجموعات هامة من الوثائق الانجليزية والفرنسية والمصرية ، فإتينا كنا نفضل أن يكون عنوانها علاقات الخديوى اسماعيل بالباب العالي بدلا من علاقات مصر بتركيا خاصة وأن تركيا ككولة تحت هذا الاسم لم تكن قد ظهرت في ذلك الوقت بل كان اسم الدولة العثمانية هو المسمى الغالب عليها .

٢ - مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٩ - ١٨٨٢

وهذه الدراسة كما ذكرنا ترجمة لرسالة الدكتوراه التي حصل عليها الدكتور أحمد من جامعة لندن .

وقد تناولت هذه الدراسة الأسباب التي أدت الي خلق الخديو اسماعيل ومقدمات الثورة العربية وتطرقت إلى مجلس شورى النواب والمذكرة المشتركة والوزارة الوطنية والمواجهة بينها وبين القوى المناهضة لها في الداخل والخارج ، والمؤامرات التي احيكت ضد الحركة الوطنية حتى انتهى الأمر باحتلال انجلترا لمصر قبل أن ينتهي مؤتمر الأستانة من النظر في المسألة المصرية .

وفي رأينا أن تحليل المؤلف للصراع بين الدول الكبرى على مصر يتم على تمكته من الإمساك بشيوط بحث ، كما يدل على قراءاته المتعمدة في العلوم السياسية وغيرها .

ومع أن الدكتور أحمد قد أوضح للقارئ في هذه الدراسة المختصرات التي اتبعها في كتابه الهوامش فإن البعض يتحفظ على الطريقة التي كتب بها عنوان الوثائق الانجليزية عندما تترجم Foreign office التي يساوي اختصارها F.O إلى ف . و . ومع ذلك فلكل طريقته في توضيح ما يراه مناسباً .

وإلى جانب ذلك فللدكتور أحمد مؤلفات أخرى بعضها في تاريخ مصر والآخر في تاريخ العالم العربي .

ومن كتاباته في تاريخ مصر نذكر :

* تطور الفكر السياسي في مصر الحديث^(١) ومشكلة قناة السويس ١٨٥٤-١٩٥٨^(٢) وتاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى المعاهدة^(٣) والعلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦ - ١٩٥٦^(٤) وشفيق غريال مؤرخاً^(٥) وشخصيات مصرية^(٦) .

يضاف إلى ذلك أنه شارك في العديد من الندوات وبيحوث هامة نذكر منها الجبرتي مؤرخاً^(٧) .

أما عن كتابات الدكتور أحمد في تاريخ المشرق العربي فنذكر منها * حركة التجديد الاسلامي في العالم العربي الحديث^(٨) والولايات المتحدة والمشرق العربي^(٩) ومضايق تيران ومشكلة الشرق الأوسط^(١٠)

- ١ - نشره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٧٣ .
- ٢ - نشره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٦٧ .
- ٣ - نشرته دار المعارف في عام ١٩٦٧ .
- ٤ - نشره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٦٨ .
- ٥ - مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الحادي عشر ١٩٦٣ .
- ٦ - نشر ضمن سلسلة كتاب الهلال العدد ٥١٦ في ديسمبر ١٩٩٣ .
- ٧ - نشر ضمن عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث ص ٢٩ وما بعدها .
- ٨ - نشره معهد البحوث والدراسات العربية في عام ١٩٧١ .
- ٩ - نشره عالم المعرفة بالكويت في عام ١٩٧٨ .
- ١٠ - دراسة قدمها ضمن أبحاث الاسبوع العلمي الثالث لسمتار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس عام ١٩٧٩ انظر البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ص ٥٧٦ - ٥٩٠ .

ولم تقتصر جهود الدكتور أحمد على التأليف بل قام بترجمة بعض الكتب التاريخية الهامة إلى العربية ومن ذلك نذكر ترجمته لكتاب ستون ويليمز "بريطانيا والنول العربية - عرض للعلاقات الانجليزية المصرية ١٩٢٠ - ١٩٤٨"^(١) وكتاب هاملتون جب وهارولد بويرين "المجتمع الاسلامي والغرب"^(٢) .

وقد اشرف الدكتور أحمد عبد الرحيم على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه، ومن ابرز تلاميذه الدكتور عبد الخالق لاشين والدكتور عاصم نسوقى

وعلى الرغم من اعارة الدكتور أحمد الى جامعة الكويت واستمراره بها سنوات طويلة فإن علاقته بزملائه وطلابه لن تنقطع فاستمر يمددهم بالمشورة والارشاد كلما طلب منه ذلك كما استمر فى عطائه العلمى الذى اثرى به المكتبة التاريخية المصرية .

وفى النهاية يمكن القول انه بفضل هؤلاء الرواد وغيرهم شقت المدرسة التاريخية المصرية طريقها بخطوات متقدمة إلى درجة لم يعد تاريخنا حكرًا على دراسات المستشرقين بل أخذنا منهم وأعطيناهم ، وشاركناهم وتفاستاهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجة أن الباحث الأوربى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لا يمكنه الاستغناء عن الرجوع إلى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه .

وهذا يعنى أن تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتباع المنهج العلمى ، والسير على قواعده قد أصبح أمرا واقعا ، ومعلما رئيسيا لا يستطيع أحد أن ينكره أو يتجاهله كما يعنى أن أساتذة ويأحشى المدرسة التاريخية المصرية أوجدوا كما خشفنا من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر بكافة جوانبه .

١ - نشر فى عام ١٩٥٢ .

٢ - نشر مرتين والثانية كانت ضمن سلسلة تاريخ المصريين فى عام ١٩٨٩ .